# حولية كليةالآداب

## علمية محكمة سنوية

تصدرها كلية الآداب- جامعة بني سويف

**عدد خاص(1) فبراير2023**

## الترقيم الدولي الموحد للدويات

(ISSN 2314 – 8160)

مركز جامعة بني سويف للطباعة والنشر

# هيئة التحرير

| | | |
|---|---|---|
| أ.د. رمضان عامر | عميد الكلية | رئيس مجلس الإدارة |
| أ.د . محروس إبراهيم | وكيل الكلية لشئون الدراسات العليا | نائب رئيس مجلس الإدارة ورئيس التحرير |
| أ. د. محمد خليل نصرالله | أستاذ العلوم اللغوية قسم اللغة العربية | نائب رئيس التحرير |
| أ.م.د. منال سيد محمد | أستاذ علم الأرشيف المساعد | مدير التحرير |
| د. محمد محمد عبد الله | مدرس. قسم الجغرافيا. | محررالموقع الإلكتروني |
| د. نورة سيد أبو المجد | مدرس. قسم اللغة العربية .. | المحرر اللغوى (اللغة العربية) |
| د.سامح كمال | مدرس . قسم اللغة الإنجليزية. | المحرر اللغوي (اللغة الإنجليزية) |
| د. أحمد جابر صالحين | مدرس. قسم الجغرافيا | محرر صفحة |
| د. أحمد حلمى صادق إبراهيم | مدرس. قسم آثار | مصمم الصفحة |
| أ. سيد عبد العظيم | | المسئول الادارى |
| أ. إيمان لؤى سيد | | المسئول المالى |

## أعضاء هيئة التحرير :


**أ.د. عيسى صالح الحمادي** أستاذ اللغة العربية. الامارات العربية المتحدة **عضو ًا**

**أ.د. مجدى شفيق السيد صقر** أستاذ الجغرافية البشرية .جامعة المنصورة **عضو ًا**

**أ.د أسامة السيد محمود على** أستاذ المكتبات والمعلومات جامعة القاهرة **عضو ًا**


## الهيئة الاستشارية الدولية:


**أ.د. نجاح قبلان حمد القبلان "** استاذ المكتبات والمعلومات. قسم المكتبات والمعلومات . كلية الآداب . جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن. المملكة العربية السعودية"

**أ.د. شريف الدين بن دوبة "** أستاذ الفلسفة.كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية. جامعة الدكتور مولاى طاهر سعيدة الجزائر "

**أ.د. عبيد سرور العتيبي "** أستاذ الجغرافيا الاقتصادية و رئيس قسم الجغرافيا بكلية العلوم الاجتماعية .جامعة الكويت "

**أ.د. محمد بلعباسي "** أستاذ الأدب الحديث والمعاصر .جامعة حسيبة بن بوعلى فى الشلف الجزائر

**أ.د. إبراهيم بن عبد الله بن عبدالرحمن الزعيبر "** أستاذ الإدارة التربوية والتخطيط فى كلية التربية بالمجمعة . المملكة العربية السعودية "

**أ.د. هند بنت عقيل بن محمد الميزر "** أستاذ الخدمة الاجتماعية الإكلينيكية بقسم الدراسات الاجتماعية . كلية الآداب. جامعة الملك سعود. المملكة العربية السعودية "

**أ.د.محمد مليانى "** أستاذ النقد الحديث والمعاصر بجامعة وهران "

**أ.د.فوزية محمد على مراد** " استاذ الدراسات الفلسفية . كلية الآداب . الجامعة الأسمرية الإسلامية

**أ.د. عبد الحسين رزوقى مجيد الجبورى** " أستاذ علم النفس التربوى . قسم العلوم التربوية النفسية. جامعة بغداد "

**أ.د.الهادى بووشمة** " أستاذ مختص فى علم الاجتماع قسم علم الاجتماع بجامعة سيدى بلعباس

**أ.د. بلخيرى مراد** " أستاذ علم الاجتماع. جامعة قسنطينة 2 ، عبد الحميد مهرى "

**أ.د. شناف خديجة** " أستاذ علم الاجتماع جامعة عبد الحميد مهرى قسنطينة 2"

**أ.د. جبيقة أحمد محمد قزوي** " أستاذ علم النفس . جامعة الجزائر 2 "

**أ.د.جمال عيسى شليحى بلبكاى** " أستاذ علم النفس .جامعة منتورى قسنطينة،الجزائر"

**أ.د. وليد عبد العزيز عمار بخوش** " أستاذ علم النفس . جامعة العربى بن مهيدى بأم البواقى(الجزائر) "

**أ.د. مها ابراهيم ال كلثم** " أستاذ المناهج وطرق التدريس. فلسفة التربية كلية التربية بالمجمعة – جامعة المجمعة"

**أ.د.على عبد كنو على** " أستاذ فلسفة علوم قرآن. كلية العلوم الاسلامية . جامعة ديالى "

**أ.د. كريمة خدوسي** " أستاذ علم النفس المعرفى جامعة البويرة "

## الهيئة الاستشارية المحلية:

**أ.د. اسامة السيد محمود على** " أستاذ المكتبات والمعلومات. قسم المكتبات والمعلومات . كلية الآداب . جامعة القاهرة "

**أ.د. ايناس حسين صادق احمد** " أستاذ المكتبات والمعلومات. قسم المكتبات والمعلومات . كلية الآداب . جامعة حلوان "

**أ.د. رباح فوزى محمد عبد اللطيف "** أستاذ المكتبات والمعلومات بكلية الدارسات الانسانية جامعة الأزهر **"**

**أ.د. سمير سعد حامد خطاب "** أستاذ علم النفس الاجتماعى ورئيس قسم علم النفس – كلية الآداب. جامعة جنوب الوادى **"**

**أ.د. محمود أحمد محمد خيال "** استاذ علم النفس بكلية الاداب جامعة المنوفيه **"**

**أ.د. خالد عبد الرازق السيد النجار "** أستاذ علم النفس المساعد .كلية الآداب – جامعة القاهرة **"**

**أ.د. عائشة محمود محمد عبد العال "** أستاذ التاريخ القديم والآثار ورئيس قسم التاريخ. كلية البنات. عين شمس

## عن الحولية

حولية كلية الآداب . حولية علمية محكمة تصدر سنويا هي مجلة علمية محكمة منشورة في بيئة الوصول الحر، وهو ما يعني أن المجلة تسمح بإتاحة وتحميل واستخدام محتواها ومشاركته مع الاخرين بلا أي قيود، وأن جميع المقالات المنشورة في المجلة متاحة مجانا وبشكل فوري عند صدورها، والمؤلفين والقراء لا يتحملون أي نفقات مقابل الاطلاع على محتوى المجلة. المجلة تنشر محتوياتها وفقا للترخيص **المفتوح-Creative Commons Attribution CC-BY-NC NonCommercial 4.0 International License** وهو يسمح بالاتاحة المجانية الفورية للمحتوى، ويسمح لآي قارئ بالقراءة، والتحميل والنسخ والطبع والتوزيع. وتتضمن الحولية بجانب البحوث التي يتقرر نشرها، عروضًا للكتب حديثة الصدور في مجالات العلوم الاجتماعية والإنسانية، كما تتضمن ملخصات وعروضًا لرسائل الماجستير والدكتوراه المجازة من الكلية أو الكليات المناظرة، وتقارير اللقاءات العلمية (المؤتمرات والندوات والحلقات العلمية).

كما تنفرد الحولية بعرض تقرير عن الكلية يرصد انجازات الكلية، وبمناسبة صدور العدد الأول من الحولية يطيب لهيئة تحرير الحولية عرض رحلة عطاء كلية الآداب على مدار 25 عام .

وتراعي هيئة تحرير الحولية إتباع قواعد التحكيم العلمي التي يجرى العمل على أساسها في المجالات العلمية وذلك لتحديد صلاحية ما يرد إليها من مقالات وبحوث. هذا وينشر كل بحث بعد موافقة كتابية على نشر البحث من محكمين على الأقل.

### شروط النشر

- تستقبل الحولية الابحاث الأصيلة التى لم يتم نشرها أو تقديمها للنشر من قبل. والباحث المقدم للورقة البحثية هو المنوط به ضمان الموافقة على نشر البحث من قبل جميع الباحثين الآخرين أن وجد. كما تقع على عاتق الباحثين أيضًا مسئولية ضمان موافقة المؤسسة للأبحاث الصادرة عن تلك المؤسسة أو الجهة.
- كما ترحب الحولية بنشر الترجمات، وملخصات الرسائل الجامعية المجازة من الكلية أو الكليات المناظرة، وتقارير المؤتمرات والندوات والحلقات الدراسية، وعروض الكتب حديثة الصدور في مجالات العلوم الاجتماعية والإنسانية، كما تنشر التقرير السنوي عن انجازات الكلية ، وكذا لمسة وفاء (حيث يتم البدء بنشر رسائل الماجستير والدكتوراة لأعضاء هيئة التدريس الذين توفاهم الله أثناء إعدادهم لرسائلهم وذلك تكريمًا لهم وحفاظًا على حقوقهم العلمية والأدبية.

يقدم الباحث نسخة الكترونية من البحث كملف واحد Word عبر الموقع الالكترونى للمجلة https://jbsu.journals.ekb.eg/ بدون ذكر اسم الباحث أو ما يدل على شخصيته.

- يرجى ملاحظة أنه يجب تحميل ملفات الأشكال الفردية التي يزيد حجمها عن 10 ميغابايت بشكل منفصل.
- يجب تقديم الجداول والأشكال مع التسميات التوضيحية داخل النص الرئيسي للمخطوطة في ملف Microsoft Word واحد. يرجى التأكد من أن الأرقام والجداول الواردة في الملف الفردي توضع بجانب النص ذي الصلة في المخطوطة ، وليس في أسفل الملف أو أعلاه.

## اللغة

- ترحب الحولية بنشر البحوث والدراسات العلمية التي تتسم بالأصالة والجدة، بإحدى اللغتين العربية أو الإنجليزية واللغات الاجنبية ، شريطة أن يرفق بالأبحاث والدراسات العلمية مستخلصان، أحدهما بالعربية، والآخر بالإنجليزية،قد يطلب من الباحثين الذين يشعرون بأن مخطوطة اللغة الإنجليزية الخاصة بهم تتطلب تدقيق لغوى لإزالة الأخطاء النحوية أو الإملائية المحتملة من استخدام أي خدمة تحرير اللغة الإنجليزية.

## التحكيم

تخضع جميع الأبحاث للتحكيم حيث تقوم هيئة التحرير بالقراءة الأولية للبحوث العلمية المقدمة للنشر بالحولية للتأكد من توافر مقومات البحث العلمي، وترسل بعد ذلك إلى المحكمين، مع مراعاة ما يلي:

- تختار هيئة التحرير شخصًا من جهة علمية مختلفة يعهد إليه بمهمة التحكيم، على أن يكون متخصص في مجال البحث، ويفضل أن يكون بدرجة أستاذ أو أستاذ مساعد.
- تطبق المجلة أسلوب التحكيم العلمي المُجهّل، حيث يرسل العمل العلمي إلى المحكمين بصفة سرية بدون ذكر اسم الباحث أو ما يدل على شخصيته، ويرفق مع العمل العلمي المراد تحكيمه استمارة تقويم تضم قائمة بالمعايير التي على ضوئها يتم تقويم العمل العلمي.

- جميع المقالات بتم تحكيمها من عضوين من هيئة التحكيم على الأقل، وفي حالة اختلاف نتيجة التحكيم يلجأ إلى محكم ثالث
- يتولى أعضاء هيئة التحرير متابعة إجراءات التعديل والتحقق من استيفاء التعديلات المطلوبة قبل نشر العمل العلمي.
- يتم إبلاغ جميع الباحثين بقرار صلاحية بحوثهم للنشر من عدمه.
- ينشر العمل العلمي إذا اجتاز التحكيم وفق الضوابط العلمية المتعارف عليها واستوفى قواعد وشروط النشر بالحولية ، ويعتذر عن نشره في حالة عدم تحقق ذلك.
- يكتفي بالإجازة من قبل اثنين من أعضاء هيئة التحرير لنشر مراجعات الكتب والرسائل الجامعية وتقارير اللقاءات العلمية.

## سياسات النشر

- يجب أن يتضمن البحث المعلومات وفقًا للترتيب التالي في أجزاء البحث:

1. العنوان باللغة العربية و باللغة الانجليزية
2. اسم الباحث باللغة العربية و باللغة الانجليزية
3. المستخلص باللغة الإنجليزية ، والمستخلص باللغة العربية،
4. الكلمات الدالة باللغة الإنجليزية واللغة العربية) خمس كلمات مفتاحية Keywords باللغة العربية واخرى باللغة الانجليزية.
5. المقدمة المنهجية، النتائج ومناقشتها، المراجع، الأشكال والجداول والملاحق.

- يسجل على صفحة العنوان: عنوان البحث في منتصف الصفحة، واسم الباحث / الباحثين متبوعًا باسم المؤسسة التي يعمل / يعملون بها، والبريد الإلكتروني الخاص به / بهم.
- يراعى أن يكون المستخلص خالي من الاقتباس والاختصارات والمراجع، ويجب ألا تتجاوز 200 كلمة، ويشير بوضوح إلى أهداف البحث ومنهجيته وأهم نتائجه.
- يقصد بالكلمات الدالة: المصطلحات الرئيسة التي وردت في متن البحث أو المباحث الفرعية التي تم تناولها.

- يراعى في المقدمة أن تقدم خلفية كافية عن الموضوع وأن يوضح بها المنهج المتبع وأدوات جمع البيانات وإجراءات الدراسة والتحليلات الإحصائية المستخدمة، إن وجدت، والدراسات السابقة، والمثيلة.
- بعد المقدمة المنهجية يتم عرض النتائج التي توصل إليها الباحث، يلي ذلك مناقشة هذه النتائج ومناقشة صحة فرضيات الدراسة ومدى ارتباط النتائج بالأعمال المنشورة التي تناولت نفس الموضوع.

## إعداد الجداول

- **الجداول والأشكال توضع في متن البحث فيجب أن يكون كل منها في صفحة مستقلة على أن** يوضع رقم الجدول وعنوانه أعلاه، ورقم الشكل وعنوانه أدناه.
- يراعى عدم وضع الجداول الكبيرة والأشكال التوضيحية والخرائط الكبيرة في متن البحث بل توضع في نهايته حتى يتمكن المراجعون من التحكم في حجمها وفق حجم صفحة الحولية.

## إعداد الأرقام

- عند تقديم البحث، من المفترض أن يدرج الباحثين جميع الأشكال والجداول في ملف WORD للبحث. يجب عدم إرسال الأرقام والجداول في ملفات منفصلة. يجب ذكر جميع الأرقام في الورقة بترتيب متصل.

## الخطوط:

- Trim Size: B5 (JIS) 25.7 cm x 18.2 cm
- Font Type: Simplified Arabic
- Margins:  2 cm
- Line Spacing: Multiple : 1.3

## المراجع

- يتم توثيق المراجع وفقاً لنظام جمعية علم النفس الأمريكية APA (American Psychological Association)سواء كانت عربية أو إنجليزية.
- المتن : يجب أن تتبع الاقتباسات في متن البحث أسلوب المراجع الذي تستخدمه جمعية علم النفس الأمريكية.
- القائمة: يجب ترتيب المراجع أولاً حسب الترتيب الأبجدي ثم حسب التسلسل الزمني ، إذا لزم الأمر. يجب تحديد أكثر من مرجع واحد من المؤلف (المؤلفين) نفسه في نفس السنة بالحروف "أ" أو "ب" أو "ج" أو ما إلى ذلك ، الموضوعة بعد سنة النشر.
- يفضل استخدام برمجيات إدارة الاستشهادات المرجعية التي تدعم أنماط لغة Citation Style، مثل Endnote و Mendeley و Zotero ، وكذلك.EndNote
- يمكن لمستخدمي Endnote (OR) Mendeley Desktop تثبيت النمط المرجعي لهذه المجلة بسهولة من خلال النقر على الرابط التالي:

### Endnote

https://www.myendnoteweb.com/EndNoteWeb.html?SID=V14644GfPieLLhJFEBz&returnCode=ROUTER.Success&SrcApp=CR&Init=Yes

### Mendeley

http://open.mendeley.com/use-citation-style/social-science-research

- عند إعداد البحث الخاص بك ، ستتمكن بعد ذلك من تحديد هذا النمط باستخدام المكونات الإضافية **Mendeley** لـ **Microsoft Word** أو **LibreOffice**.

### مقابل التحكيم والنشر:

- **الباحثون المصريون داخل جمهورية مصر العربية:**

عدد الحولية الأساسي: التحكيم: 800 جنيها لعدد (2) محكمين
فى حالة الاحتياج لمحكم ثالث يتم إضافة 400 جنيهاً أخرى كرسوم تحكيم
النشر: 900 جنيه مقابل أول 25 صفحة مقاس (JIS) B5 بمواصفات الحولية-
يُضاف 30 جنيه مقابل كل صفحة زائدة-60 جنيها للصفحة الواحدة الألوان

العدد الخاص للحولية : التحكيم: 800 جنيها لعدد (2) محكمين
فى حالة الاحتياج لمحكم ثالث يتم إضافة 400 جنيهاً أخرى كرسوم تحكيم
النشر: 1500 جنيه مقابل أول 25 صفحة مقاس (JIS) B5 بمواصفات الحولية – يُضاف 40 جنيه مقابل كل صفحة زائدة–60 جنيها للصفحة الواحدة الألوان

- **الباحثون المصريون المعارون:**

عدد الحولية الأساسي: التحكيم: 800 جنيها لعدد (2) محكمين فى حالة الاحتياج لمحكم ثالث يتم إضافة 400 جنيهاً أخرى كرسوم تحكيم

النشر: 1500 جنيه مقابل أول 25 صفحة مقاس (JIS) B5 بمواصفات الحولية يُضاف 40 جنيه مقابل كل صفحة زائدة –60 جنيها للصفحة الواحدة الألوان
العدد الخاص للحولية : التحكيم: 800 جنيها لعدد (2) محكمين فى حالة الاحتياج لمحكم ثالث يتم إضافة 400 جنيهاً أخرى كرسوم تحكيم
النشر: 2500 جنيه مقابل أول 25 صفحة مقاس (JIS) B5 بمواصفات الحولية– يُضاف 60 جنيه مقابل كل صفحة زائدة –60 جنيها للصفحة الواحدة الألوان

- **الباحثون غير المصريين:**

عدد الحولية الأساسي: التحكيم: 100 دولار لعدد (2) محكمين فى حالة الاحتياج لمحكم ثالث يتم إضافة 50 دولار أخرى كرسوم تحكيم
النشر: 8 دولار مقابل كل صفحة مقاس (JIS) B5 بمواصفات الحولية
العدد الخاص للحولية : التحكيم: 100 دولار لعدد (2) محكمين
فى حالة الاحتياج لمحكم ثالث يتم إضافة 50 دولار أخرى كرسوم تحكيم
النشر: 9 دولار مقابل كل صفحة مقاس (JIS) B5 بمواصفات الحولية

**لطلبة الدراسات العليا:**

الطلبة المصريين: 1000 شاملة التحكيم والنشر
الطلبة لغير المصريين: 150 دولار شاملة التحكيم والنشر

# الجمالُ عنَد ابنِ قَيِمِ الْجوزيَّةِ


إعداد

د/نجاة سعد أحمد جاد الرب

مدرس بقسم الفلسفة – كلية الآداب – جامعة المنيا



**الإستشهاد المرجعى:**

**نجاة سعد أحمد جاد الرب (2023). الجمالُ عندَ ابنِ قَيِّمِ الْجوزيَّةِ. حولية كلية الآداب جامعة بني سويف. عددخاص(1) فبراير2023.- ص ص 60-1**


## مستخلص:-


**لما كان الجمال محل أنظار الباحثين علي مر العصـــور، فقد جاءت هذه الدراســـة لتهدف إلي تحليل مفهوم الجمال وأقسامه، وما ارتبط به من مسائل عند ابن قيم الجوزية. نستنتج من الدراسة أهمية الجمال عند ابن القيم كحقيقة موضوعية لها وجود مستقل بعيد عن الذات المدركة له، فأنعكس ذلك علي**

**تصـوره للحسـن والقبح في الفعل الإنسـاني. كما ظهرت فاعلية الجمال عنده كركيزة أسـاسـية في عملية الخلق الإلهي للكون،وربطه بينـه و معرفة الله تعالي المعرفة التي تليق بـه ، ولا تكون إلا للخواص من خلقه، وبالتالي تحقق التوحيد في أبهي صـوره، وكشـفت الدراسـة عن الصـلة الوثيقة القائمة –عند ابن القيم– بين الجمال والعلم والحب علي مستويات مختلفة، وتأكيده علي التلازم الحاصل بين الجمال الباطن والأخلاق في الدنيا من جهة، والسعادة في الدارالآخرة من جهة أخري؛فالجميل عنده هو الخلوق في الدنيا السعيد بالضرورة في الآخرة. وقد سلكت في هذه الدراسة المنهج التحليلي النقدي المقارن.**

**الكلمات الدالة:الفلسـفة الإسـلامية –الجمال– الجمال الباطن– الجمال الظاهر– الحسـن– القبح– الفعل الإنساني– المعرفة– الحب– الأخلاق– الفضيلة– اللذة– السعادة.**

## المقدمة: –

الحق والخير والجمال قضايا بارزة في سماء الإنسان والإنسانية قديماً وحديثاً ، انشغل بها الفلاسـفة على مدار تاريخ الفكر الفلسـفي كله فجاءت كموضـوعات للمبحث الثالث من المباحث الكبرى للفلسـفة ، وأعني مبحث الأكسـيولوجيا أو القيم ، وكانت موضـوعاً للعلوم الثلاثة المنطق والأخلاق وعلم الجمال ، ولطالما تشـابكت المسـائل الثلاثة بوجه عام في علاقات متشعبة من زوايا مختلفة ، أما الجمال موضوع هذه الدراسة فهو معضلة علم الجمال الذي يحاول تلمس الإجابة عن السـؤال التالي: ما هو الجمال ، وما القواعد التي ينبغي مراعاتها لكي يكون الشـيء جميلاً ؟ هذا التسـاؤل الذي يبدو بسـيطاً في ظاهره ، كان ولا زال حتى اللحظة موضع خلاف كبير بين الفلاسفة والمفكرين علي مدار التاريخ.

ولقد كانت عناية مفكرو الإسلام بالجمال عظيمة ، فتناولته الأقلام بالتوضيح والشرح ، وكيف لا ؟ وقد كان الجمال أحد أهم مقاصد الشريعة وأهدافها ، فهو ليس أمراً زائداً عليها أو غير ذات أهمية، بل على العكس فقد تبدت الصـبغة الجمالية البارزة بوضـوح في النصـوص الدينية من قرآن وسنة، فالله جميل يحب الجمال، هذا بالإضافة إلي محبة وتقدير الإنسان أي

إنسان بطبعه وفطرته الأصيلة للجمال بشتى أشكاله ومتعلقاته ، والنفس تميل إلى كل جميل في كل وقت وحين .

فجاء الفارابي (339هـ) ليجعل جمال الشيء يتحقق بوجوده الوجود الأفضل، ومن بعده جاء التوحيدي (414هـ) ؛ ليقر بأن الجمال الإلهي مصدر كل جمال علي الإطلاق ، أما الغزالي (505هـ) فصرح بأن جمال الموجود وحسنه يكمن في حضور الكمال اللائق به .

ولم يكن ابن قيم الجوزية ( ت:751هـ) بمنأى عن ذلك ، فتناول فضيلة الجمال وما تفرع عنها من مسائل أخرى بالبيان والشرح في كتابات متناثرة هنا وهناك ضمن مؤلفاته العديدة ، وإن كان كتابي روضة المحبين والفوائد معاً عمدة مؤلفاته في هذه المسألة ، ورغم ذلك لم تلتفت إليه أقلام الباحثين– على حد علمي– بالشكل الذي يبرز قيمته ، ولم تضعه تحت مفاحص البحث حتى اليوم .

ولا تخفى علينا مكانة ابن القيم الغني عن التعريف ، حيث تتجلى أهميته كمفكر فيما تركه لنا من تراث كبير، فله في كل فن إنتاج قيم وقرائه ومن شغف بعلمه منتشرون في كل مكان.

لذلك آثرت أن أسلط الضوء على هذه المسألة في محاولة لإماطة اللثام عن هذا الجانب من فكر ابن القيم،الذي لم يزل غير مطروق إلى الآن فيما أعتقد ، وقد قصدت من هذه الدراسة إلقاء الضوءعلى تراثنا الجمالي الذي لم يزل يحتاج إلى تضافر الجهود حوله بما يوازي أهميته وعظمته من جهة ، وذلك عند واحد من أعلام الفكر الإسلامي بحضوره المتجدد في عقول وقلوب الناس ومؤلفاته العديدة المثيرة للاهتمام مع الجدل على حد سواء من جهة ثانية بالإضافة إلى أن الاهتمام بالجمال من الموضوعات الحية المتجددة على الدوام عند كل منا فشغف النفس به ومتعلقاته لا يفتر مع مرور الأيام.

ومن ثم أشير في هذا التمهيد إلى أهم التساؤلات التي شغلت بها، وجاءت هذا الدراسة محاولة للإجابة عليها ، وهي على النحو التالي :-

1. ما مفهوم الجمال عند ابن القيم؟
2. هل للجمال عند ابن القيم حقيقة قائمة بعيداً عن الذات المدركة له ، أم أن وجوده وعدمه يتعلق بتذوقه؟
3. هل ارتبط الجمال بالنافع والمفيد عنده؟
4. ما علاقة الجمال بالمعرفة؟
5. ما أقسام الجمال عند ابن القيم؟
6. هل ثمة صلة بين الجمال والحب؟
7. هل يرتبط الجمال بالأخلاق؟
8. ما العلاقة بين الجمال والسعادة؟
9. هل تأثر ابن القيم — في كل ما سبق — بمعنى الجمال ومضامينه في القرآن الكريم والسنة؟

**وبناء علي ذلك، جاءت الدراسة في عدة نقاط :-**

- الجمال في اللغة.
- الجمال في القرآن والسنة.
- مفهوم الجمال.
- أقسام الجمال.
- الجمال والمعرفة.
- الجمال والحب.
- الجمال والأخلاق.

- الجمال والسعادة.

وقد سلكت — في كل ما سبق — المنهج التحليلي المقارن مع المنهج النقدي، حيث عولت على تحليل أفكار ابن القيم من واقع نصوصه في مؤلفاته ومناقشتها في حدود الدراسة وعرضها في نسق واضح يكشف عن أهميتها ومكانتها مع تحري الموضوعية قدر الإمكان في العرض والشرح مع النقد ، فلم أستنطق كلامه بأكثر مما يحتمل ، ولم أغفل علاقات التأثير والتأثر بينه وغيره من فلاسفة الإسلام ومفكريه .

## * الجمال في اللغة:

عرف علماء اللغة الجمال بالحسن في الخلق والخلق، في إشارة إلى جانبي الجمال المعنوي والحسي، وقيل جمل ككرم فهو جميل. والجملاء تعني الجميلة والتامة الجسم من كل حيوان، والفعل تجمل يعني تزين[1].

وقد قيل جمل الرجل بالضم (جمالا) فهو جميل والمرأة ( جميلة ) وجملاء أيضا بالفتح والمد.. وأجمل الحساب رده إلي الجملة وأجمل الصنيعة عند فلان أي أجمل في صنيعه ، وأجمل القوم أي كثرت جمالهم، أما المجاملة تعني المعاملة بالجميل ، وجمله تجميلاً بمعنى زينه ، والتجمل تكلف الجميل[2].

والجمال مصدر الجميل ، ويقول ابن سيدة: الجمال الحسن يكون في الفعل والخلق، كما يقول ابن الأثير والجمال يقع على الصور والمعاني [3].

وهكذا أجمعت كتب اللغة على الجمع بين الجمال والحسن والزينة ، حيث جاء الجمال بالمعنى الحسي حينا والمعنوي حينا أخر، في إشارة إلى الجمال في الصورة والفعل.

فإذا كان هذا معنى الجمال لغة فهل اختلف عما هو في النصوص الدينية؟

## * الجمال في القرآن والسنة:-

عبرت النصـــوص الدينية من قرآن وســـنة عن الجمال ، بمترادفات عدة كالحســـن والملاحة والزينة والزخرف أيضـــاً، وجميعها تشـــير إلى المعني نفســـه والحقيقة ذاتها. كما اعتمدت طريق إبراز حقيقة الجمال من آثاره التي تســـر العين والقلب معاً، كما في خلق السموات وما تحويه من نجوم وكواكب ، تجاوزت فعل الخلق بمقاصده فحسب إلى الاستمتاع بـــالجمـــال والاتقـــان فـــي الصـــنـــع والإبـــداع بمـــا تزينـــت بـــه، فقـــال تعـــالـــي: "إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ".[الصافات:6]

ولم يقتصـــر الحديث عن الجمال وآثاره بجمال الطبيعة وحده بل امتد ليشـــمل كل ما خلق الله، فقال تعالى:"إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَـــفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُـــرُّ النَّاظِرِينَ" [البقرة:69] فجمال البقرة بلونها الأصفر المبهج كان سبباً في سرور من رآها فعرف الجمال بأثره في النفس. كما قال تعالي:"وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ". [النحل :6]

وجاء في تفســـير القرطبي أن جمال الأنعام والدوام متحقق في كثرتها وقول الناس إذا رأوها هذه نعم فلان، فإذا راحت توفر حسنها وعظم شأنها وتعلقت القلوب بها.

فالجمال ســـار في كل الموجودات بفعل الحق، الذي أتقن كل شـــيء خلقه، وقاعدة الإتقان والتســـوية والإحســـان من لوازم الجمال، فقال تعالي: "خَلَقَ السَّـــمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ" [التغابن: 3].

هكذا يصبح الجمال حقيقة لها وجود معتبر وضروي في حياة الخلق، وليس أمرًا زائدًا لا يلتفت إليه معظم الوقت، وهو ما نبه إليه الحق تعالى لما قال:"" **يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ**" [الأعراف: 31] " فالاهتمام بزينة الظاهر ونظافة الثياب، وجمال الطلة جنبًا إلى جنب طهارة الأعضاء مزية المسلم الواعي بإيمانه الصحيح المقبل على الحياة.

ليس هذا فحسب، بل برز الجمال في القرآن الكريم كعنصر أساسي في البناء الكوني، حيث جعله الحق مرشـــدًا للخلق يســـتدلون به عليه من جميل صـــنعه ، وعلى كماله وإلهيته ووحدانيته، فقال تعالى :" أَمَّنْ خَلَقَ السَّـــمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّـــمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ". "[النمل :60]

كما عني القرآن بالتأكيد على السلوك الحسن والترغيب فيه، فجاءت العديد من الآيات التي ذكر فيها الجمال كفعل أخلاقي حضت عليه النصوص بما يجمل واقع المرء في سلوكه ومعاملاته مع الغير، فوردت كلمات الصـــبر الجميل و الصـــفح الجميل و الهجر الجميل والتســـريح الجميل حتي في لحظات الألم عند الفراق، قال تعالى:" **فَصَـــبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ** "[ يوسف: 18]

كما لا يخفى أثر الجمال على العين والنفس فيما وصف به الله الجنة في الدار الآخرة بما حوته من شتى أشكال اللذات والمتع الحسية والمعنوية ، وكان ذلك من باب الترغيب فيها ومحاولة محاكاة جمالها في الدنيا، فقال تعالى : " ذَوَاتَا أَفْنَانٍ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ "[الرحمن: 48 :54].

أما في الأحاديث النبوية الشريفة، فقد برز الجمال الإلهي كصفة لله تعالى وهو يحبه ويحب من عليه، فعرف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله:"لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر، قال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً، ونعله حسناً قال: إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق وغمط الناس"[4].

بالإضافة إلى ذلك، فقد نبهت السنة العطرة إلى الحسن بشقيه الظاهر والباطن، فكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه:" اللهم كما حسنت خَلقي فحسن خلقي"[5].

أما جمال النساء فهو موضع اعتبار في النصوص الحديثية، فالمرأة الجميلة تبعث البهجة والسرور في عين وقلب من يراها، لهذا فصورة المرأة وحسنها الظاهر مع طيب أخلاقها مدعاة للإعجاب بها والترغيب في الزواج منها، لذا قال صلى الله عليه وسلم"تنكح المرأة لأربع لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك"[6].

وهكذا برز الجمال في النصوص الدينية كحقيقة ماثلة للخلق على مستويات مختلفة في الصورة الظاهرة الجميلة والفعل الحسن، فهل أفاد ابن القيم منه، وما هي حقيقة الجمال عنده؟

## * مفهوم الجمال:

أخذ الجمال عند ابن القيم عدة مسميات كالحسن والزينة والملاحة، ورغم تعدد المسميات إلا أنها في مجملها تعبرعن الحقيقة ذاتها، فنراه تارة يبدأ كلامه ويلتقط الجمال في عبارة ما، ثم يكمل حديثه مستعيضاَ عنه بالحسن مثلا تارة أخرى، إلى غير ذلك من كلمات الملاحة والزينة وغيرها.

فإذا أردنا أن نلتمس ماهية الجمال، سنجده يرى في الحسن معنى لا تحيط به العبارة، ولا يناله الوصف ، وإن كان للناس فيه أقوال على قدر طاقتهم في التعبير عنه ، وهو لذلك حقيقة قائمة بالفعل، لكن المشكلة تكمن في وسيلة التعبير عنه ، وقد حددها ابن القيم بالوصف، فالجمال رغم وجوده وتحققه إلا أنه أمراَ لا يدرك إلا بالوصف.

## * فما السبب في الحكم على صورة بالجمال؟

الجمال عند ابن القيم أمر مركب من أشياء عدة وضاءة وصباحة وحسن تشكيل وتخطيط ودموية في البشرة بالإضافة إلى تناسب الخلقة واعتدالها واستواؤها، فالحسن يكون" في الوجه والملاحة في العينين"[7].

الجمال كذلك هو ما استنطق أفواه الناظرين بالتسبيح والتهليل، وفي هذا يستدل ابن القيم بقول:

"طلعت فقال الناظرون إلى تصويرها ما أعظم الله

وقال آخر: وإذا بدت في بعض حاجتها تستنطق الأفواه بالتسبيح"(8)

وهنا يتبدى أثر رؤية الحسن وتذوق الجمال في التلازم الحاصل بينهما وبين التسبيح الناطق بلسان العجب ، والفرح بكمال الحسن، وهو ما يتجاوز حد الجمال الحسي البشري بمعناه الضيق، ليتسع فيشمل الجمال في كل ما حولنا من موجودات ، فمتى وقعت أعيننا على صورة جميلة ساحرة تبرز عظمة الخلق والخالق سبح اللسان وهلل بذكره تعالى، فأنظر إلى امتداد البحر بشاطئه والسماء الممتدة فوقه تجد نفسك مدفوعاً بقول سبحان الله ما أجمل خلق الله !

ورؤية الجمال البديع في شتى مظاهر الحياة اليومية من حولنا تنطق ألسنة الناظرين بعبارات الثناء والمدح لا على مظاهر الجمال فحسب، بل على صانعه علة وجود هذا الجمال الناطق ببديع صنعه الذي لم يخلق عبثاً.

بناء على ذلك، أقر ابن القيم الجمال كحقيقة موضوعية ، وهو أمر في غاية الأهمية ، إذ يرتبط بمشكلة قديمة حديثة ومثيرة للخلاف والجدل بين مفكري الإسلام بوجه عام ، ألا وهي الحسن والقبح في الفعل ، وهذا مقام عظيم — على حد قوله — زلت فيه أقدام الكثيرين ، يتلخص الخلاف بشأن هذه القضية في أمرين متغايرين هما:

* أولاً:هل يشتمل الفعل في نفسه على ما يوجب حسنه أو قبحه بالضرورة ، فيكون منشأً لها أم لا ؟

* ثانياً : الثواب والعقاب المترتب على حسـن الفعل أو قبحه ثابت وواقع ، أم لا يقع إلا بالشرع ؟

ذهب نفاة التحسـين والتقبيح العقليين من الأشـاعرة إلى أن الأفعال ليسـت في ذاتها قبيحة أو حسنة نافعة أومضرة، والحكم فيها والثواب والعقاب عليها منشأه الشرع، أما المعتزلة قررت أن قبحها والعقاب عليها ثابتان بالعقل، وهو ما يفهم من قول صـاحب جمع الجوامع "والحسـن والقبح بمعنى ملائمة الطبع ومنافرته، وصـفة الكمال والنقص عقلي ، وبمعنى ترتب الذم عاجلًا والعقاب آجلًا شرعيًّا خلافًا للمعتزلة"[9]

رفض ابن القيم دعاوى الفريقين، وحرص على إثبات بطلان قولهم من سـتين وجهًا ضمنه كتابه الموسوم تحفة النازلين بجوار رب العالمين ، فأثبت فساده بالعقل والنقل معًا.

حتى أنه يتعارض مع الفطرة السـليمة التي فطر الله الناس عليها، والتي تقضـي باسـتحسـان كل ما هو جميل من قول أو فعل، واسـتقباح أضـدادها، كما يفرق الناس بأذواقهم بين الحلو والحامض، ويسـتطيبون الرائحة الزكية وينفرون من مضـاداتها من الروائح الكريهة، ونسبة هذا إلى فطرتهم كنسبة " كل ما يدركونه بمشاعرهم الظاهرة والباطنة، فيفرقون بين طيبه وخبيثه "[10].

وسـبب الخلاف هنا كما فطن إليه ابن القيم يكمن في اعتقاد كل فريق بتلازم الأمرين السـابق ذكرهما معًا، بينما الأمر على خلاف ذلك، فالأفعال تكون حسـنة أو قبيحة في ذاتها، كما أنها في نفسها نافعة أو ضـارة ، والفرق بين هذا وذاك، لا يتعدى الفارق بين كل ما تدركه الحواس الظاهرة والباطنة من طعوم أو روائح أو مرئيات وغيرها، أما الثواب والعقاب فيسـتلزم الشرع، فقبل"ورود الأمر والنهي لا يكون قبيحًا موجبًا للعقاب مع قبحه في نفسه"[11].

* ولكن إذا صـح كلام ابن القيم في حق شـيوخ الإعتزال الأوائل، فهل يصـدق كذلك بشأن متأخريهم؟

يلحق المعتزلة المدح والذم العقليين بالأفعال قبل ورود الشـرع، أما الثواب والعقاب فلا يقع إلا في مقابل التكليف، وهذا ما لايسـتطيع العقل أن يسـتقل به، فلابد من الشـرع، لأنه لا سـبيل إلى معرفة الشـرائع إلا بالرسـل، وهذا ما أكده الملاحمي المعتزلي وهو يعدد فوائد بعثة الأنبياء، إذ يقول في أحدها: منها أن يأتوا من الله بخبر قاطع على أنه سـيعذب الكفار والفسـاق، لأن العقل إنما يدل على اسـتحقاقهم منه تعالى العقاب ، ولا يدل على أنه يعاقبهم، بل يجوز ذلك ويجوز أن يعفو عنهم[12].

فكل الفواحش ما ظهر منها وما بطن من كذب وسرقة وقتل وزنا وظلم، هي في ذاتها قبيحة وتظل كذلك قبل وبعد الشرع ، لكن العقاب عليها متوقف على إرسال الرسل المبشرين المنذرين لئلا يكون للناس علي الله حجة بعد الرسـل، ولهذا قال تعالي " وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُـولاً ". [الإسـراء:15] ، ولا يأمر الرسـل بما كان قبيحاً بحكم العقل والفطرة، لأنه تعالي لا يدعو إلا إلي ما " تشهد العقول الصحيحة حسنه وكونه معروفاً، وما ينهي عنه تشهد قبحه وكونه منكراً"[13].

بناء على ذلك، يقترب ابن القيم من المعتزلة في هذه الوجهة بالذات، ويصـبح الجمال عنده موجوداً بالفعل، والحسـن كذلك لأنه ينطوي في نفسـه علي صـفات الحسـن، وملائمة الطبع، فهو مصـدرها بصـرف النظر عن الذات المدركة له، ويصـبح الخلاف بيننا ليس في كون الجمال موجوداً أم لا، لكنه يتمثل في درجة وشكل تذوقه.

والحق أن هذا القول من جانب ابن القيم ينسـجم مع عموم فكره وتأكيده علي الغاية من الخلق وهي عبودية الله تعالى التي لا تتحقق إلا بمعرفته ، حيث يضـع الجمال ككائن أسـاسـي في الكون وعملية الخلق، وينبه إلى الصـبغة الجمالية التي تغلف كل ما خلق الحق جل شأنه، ولأنه تعالي لا يفعل إلا بحكمة، فلم يخلق الجمال عبثاً، وإنما أظهره ليستدل الناظر إليه" على قدرته ووحدانيته وبديع صنعه ، فلا تعطل عما خلقت له"(14).

انطلاقاً من كلام ابن القيم، يصـــبح الجمال المشـــاهد في الكون بوجه عام طريق لمعرفة الله تعالى من جانب خلقه، فكيف كان ذلك؟

## * الجمال والمعرفة:-

من أسمائه الله الحسنى الجمال، وهو مصدر الجمال الموجود في العالم كله ، فالجمال في الأصـــل منه وإليه ، وما جمال موجودات العالم الأرضـــي إلا تجليات لهذا الجمال الإلهي المطلق، يثبت هذا قول ابن القيم فكل جمال" في الدنيا والآخرة من آثار صنعته"[15].

بل هو جل شـــأنه أحق بوصـــف الجمال من غيره ، لأن كل مشـــاهد من جمال في الكون إنما هو من آثار صـــنعه، وبديع خلقه، ولا يســـتطيع البشـــر الإحاطة بجماله في هذه الدنيا، فلولا حجاب النور على وجهه سبحانه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصر خلقه.

## * والجمال الإلهي على أربع مراتب:

- جمال الذات.
- جمال الصفات
- جمال الأفعال
- جمال الأسماء.

هذه المراتب الأربع للجمال الإلهي يترقى العبد فيها من الأدنى إلي الأعلى، فإذا شاهد شيئًا من جمال الأسماء استدل به على جمال الأفعال، ومن الأخير يترقى إلى جمال الصفات الذي يصل منه إلى أعلى المراتب، أعني جمال الذات ، فقد حجب جمال" الذات بالصفات ، وحجب الصـــفات بالأفعال، فما ظنك بجمال حجب بأوصـــاف الكمال، وســـتر بنعوت العظمة والجلال"[16].

ويقترب ابن القيم هنا من جمالية أفلاطون (ت:347 ق.م) التي عدت جمالية تصاعدية، فعند أفلاطون الجمال متسلسل من درجة إلى أخرى حتى يتم التوصل إلى المفهوم الأسمي للجمال حيث يتحد فيه الجمال بالخير. فقد رأى أن في أصل كل جمال لابد من جمال أولي يجعل الجمال ويجعل الأشياء جميلة، ويتدرج الجمال علي مراحل ثلاث: الجمال الشكلي أي جمال الأشكال، والجمال الأخلاقي والعقلي أي جمال الأفكار وهو جمال المعرفة، والجمال المطلق أي الجمال المثالى.[17]

كما يشبه ما ذهب إليه أفلوطين ( ت:275 م ) لما قرر أن العالم بكل مظاهره عين جمال الواحد أو المطلق، وبالتالي تدين الطبيعة بتكوينها للخير ومن ثم للجمال، إذ الأصل في الطبيعة إنما"هو من الملأ الأعلى أعني من عالم الخير طبعا وهو عالم الحسن أيضاً"[18].

ويتفق ابن القيم كذلك مع ما سبق وأكده التوحيدي لما جعل صفات الله تعالي وأفعاله في غاية الجمال والبهاء، بحيث لا يضاهيها أو يكون في درجتها شيء من المستحسنات، فهي الأصل والمبدأ الذي يفيض منه الحسن علي غيرها، وإنما" نالت الأشياء كلها الحسن والجمال والبهاء منها وبها"[19].

والأمر عينه نجده لدي الغزالي حين رأي جمال الحضرة الإلهية أوفي من كل جمال، وهو الأصل لكل صورة جمالية في الوجود الأرضي، فلا خير ولا جمال ولا محبوب في هذا العالم إلا وهو في حقيقته أثر من آثار كرمه وغرفة من بحر جوده، لا يضاهي؛ لأن" كل جمال في العالم فهو حسنة من حسنات ذلك الجمال "[20]. كذلك يشبه ابن القيم فيما ذهب إليه ابن عربي (ت:638هـ) الذي عرف مقام الجمال الإلهي حين جعل الحب أولًا علة وجود العالم، ثم أقر بأن العالم من حيث صورته عين جمال الله ذاته، وما الجمال الظاهر في الموجودات سوى تجليات لهذا الجمال الإلهي، يثبت هذا قوله" فالعالم جمال الله"[21].

فإذا كان ذلك كذلك ، فلا عجب لو نبه ابن القيم علي أن الله – سبحانه وتعالى – يعرف بالجمال والكمال الذي لا يماثله فيه أحد من خلقه ، بل ويعبد كذلك به ، والمقصود بالجمال هنا الجمال الذي يحبه جل شأنه في عباده، من الأقوال والأفعال وسائر الأعمال والأخلاق الجميلة ، إذ يحب الله – سبحانه وتعالى — من جمل لسانه بالصدق، وقلبه بالإخلاص، وسائر جوارحه الظاهرة بالطاعة لأوامره واجتناب نواهيه ، وبدنه بالنظافة والطهارة والزينة التي تعكس نعمته تعالى عليه في حسن ملبسه وطيبه، فيعرفه المرء "بالجمال الذي هو وصفه ، ويعبده بالجمال الذي هو شرعه ودينه، فجمع الحديث قاعدتين المعرفة والسلوك"[22].

ولذلك يؤكد ابن القيم على أن معرفة الله – جل شأنه – بجماله معرفة عزيزة المنال إلا على خواص الخلق من عباده، فهم جميعًا يعرفونه بصفة من صفاته ، غير أن أكمل وأتم معرفة هي معرفته بكماله وجماله ، الذي هو مصدر كل جمال ، بل لو افترضت الجمال التام والكامل في الناس جميعًا، ونسبت هذا الجمال لله تعالى، لكان جمالهم نسبة إليه أقل من نسبة سراج ضعيف إلي قرص الشمس.فأعز أنواع المعرفة"معرفة الرب سبحانه بالجمال، وهي معرفة خواص الخلق"[23].

ويقترب ابن القيم هنا مع ما قرره إخوان الصفا من قبله ، لما جعلوا الناس في الجمال والمعرفة علي قسمين خواص وعوام، والعوام منهم هم الذين تتشوق نفوسهم إلى الصورة الجميلة متى رأوها، فيقفوا عند حد النظر إليها وتأملها والرغبة في القرب منها، أما الخواص وهم الحكماء ممن اتسعت رؤيتهم فتجاوزت حدود ما رأوه من صنعة محكمة، أو شخصًا مزينًا، فأشتاقت نفوسهم إلى صانعها ومبدعها "وتعلقت به ، وارتاحت إليه ، واجتهدوا في التشبه به في صنائعهم ، والاقتداء به في أفعالهم قولًا وفعلًا وعلمًا وعملًا"[24].

وعودة إلى ابن القيم سنجده قد نبه إلى أشكال للجمال منها ما هو ظاهر وما هو باطن، وهو ما يقودنا مباشرة نحو الحديث عن أقسام الجمال عنده كما هي من واقع نصوصه.

*** أقسام الجمال عند ابن القيم :-**

*** ينقسم الجمال عند ابن القيم قسمين:-**

**أولًا: الجمال الظاهر.**

**ثانيًا: الجمال الباطن.**

أما الجمال الظاهر فهو زينة خص الله بها بعض الصور عن البعض الآخر،من قبيل زيادة الخلق فيها، وهو ما قصـــده تعالى في قوله تعالى" **يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَـــاءُ** " [فاطر:1] ، ويشمل الصوت والصورة الحسنة، والقلوب مطبوعة على محبته" كما هي مفطورة على استحسانه"[25] فالجمال بهذا نعمة من الله على عبده تستوجب الشكر، وإنما يكون ذلك بتقوى الله، فمن شكره ازداد جمالًا على جماله، ومن أساء استعمال هذا الجمال بصرفه في ارتكاب المعاصي فيما حرمه الله، انقلب جماله قبحًا.

ولما كان الجمال الظاهر محل نظر القلوب مالت إليه طبائع كافة الناس، وصـــار معظمًا من الخلائق أجمعين، فكان ذلك علة جمال الأنبياء، فما بعث الحق تعالى نبيًّا للبشـر إلا وحاز جمال الظاهر بأشكاله المختلفة من حسن الصورة وملاحة الوجه وعذوبة الصوت، ويستشهد ابن القيم هنا بجمال يوسف — عليه السلام – الذي فتن امرأة العزيز، فشغفها حبًا، حتى أمرته أن يخرج على نساء المدينة لتريهم إياه حتي يلتمسن لها العذر، قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ "[يوسف: 32]، أي من يلومني على محبته مع حسن صورته، وإن كان يوسف — عليه السلام — قد جمع بين الجمالين الظاهر والباطن ، فكان في غاية العفة والنزاهة، يشهد بهذا قولها" وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ "[يوسف: 32]

فإذا كان الأمر كذلك، فلا غرو إن نال الجمال الظاهر تقدير واحدًا من كبار رجال الدين في وقته ، حيث يستشهد ابن القيم هنا بما كان من الشيخ الحسن البصري (110

هـ ) لما دخلت عليه امرأة باهرة الحسن تسأله عن زواج الرجال بأخريات على نسائهم ، وكان قد أجابها بنعم، فما كان من الجميلة إلا أن أسفرت عن وجهها الرائع الحسن مستنكرة فتواه، ثم ولت، فقال الحسن البصري:" ما على رجل كانت هذه في زاوية بيته ما فاته من الدنيا"(26).

فلا عجب إذ تتبدى أهمية الجمال الظاهر– في صورة المرأة على وجه الخصوص —عند ابن القيم، والدليل على ذلك إسهابه الواضح في الكلام عن تدقيقات الجمال والحسن بتفصيلات في غاية الدقة، تبرز المعايير الحسية للحسن كما ينبغي أن يكون من وجهة نظره، فيجعل بياض المرأة مع جمال شعرها دليل على تمام حسنها، بالإضافة إلى رقة أديمها ونعومة ملمسه والبهاء والهوج مع الطول، فمن محاسن المرأة "طول أربعة وهن أطرافها وقامتها وشعرها وعنقها.. وبياض أربعة لونها وفرقها وثغرها وبياض عينها، وسواد أربعة أهدابها وحاجبها وعينها وشعرها، وحمرة أربعة لسانها وخدها وشفتها مع لعس وإشراف بياضها بحمرة ، ودقة أربعة أنفها وبنانها وخصرها وحاجبها، وغلظ أربعة ساقها ومعصمها وعجيزتها وماهنالك ، وسعة أربعة جبينها ووجهها وعينها وصدرها، وضيق أربعة فمها ومنخرها وخرق أذنها وماهنالك"[27]. فإذا كان البهاء والهوج مع الطول من علامات الجمال في المرأة ، فقد اعتبر ابن القيم القصر في المرأة الغليظة دليل قبح.

ولعمري فقد أمعن ابن القيم في تحديد ملامح الحسن في المرأة وفصل القول في رسم صورته الحسية، بكل دقة فأحاط بالمطلوب في بيان ووضوح، وكثرت نصوصه على مدى صفحات كثيرة في عدد من مؤلفاته ؛ لتؤكد على الفكرة ذاتها، وهو ما جعلني أستشهد على صدق ما ظننت ببعض مما انتقيت. غير أن اللافت للنظر هنا نموذج حور العين الذي قدمه ابن القيم كصورة أخروية للحسن وتمام الجمال، وقال فيهن"وصف الله سبحانه حور الجنة بأحسن الصفات، وحلاهن بأحسن الحلي، وشوق الخطاب إليهن حتى كأنهن يرونهن رؤية العين"[28]. وهن حور بيض متسعي العيون طوال الشعور كجناحي النسر، صفاؤهن كصفاء

الدر في الأصـــداف وحســـان الوجوه ، رقتهن كرقة الجلد في داخل البيضـــة، وجوههن النور وأجسادهن الحرير.

## * فأيهما يستحسن ابن القيم، جميلات الدنيا أم الحور العين؟

يفضـــل ابن القيم نســـاء الدنيا وجمالهن على حســـن حور العين ،وهو ما نفهم منه أن الأصل في تمام الجمال والحسن عنده هو المتحقق في نساء الدنيا ،وحسنهن مقدم على حور العين، وكأن الأخريات الفرع عن الأصـــل الذي هو جميلات الدنيا، وهو في هذا يســـتقيم مع فطرته الأصـــلية الســـليمة الملائمة للطبيعة البشـــرية التي تطلب المرأة وتحبها، والتي لولاها لما قدر الإنســـان على خلافة الله في أرضـــه وعمرانها، ولهذا أيضًـــا لم تكن الرهبانية التي تحرم على الرجل النكاح من الإسلام في شيء، ودليل ذلك قول رسول الله — صلي الله عليه وسلم — "حبب إلى من دنياكم المرأة والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة".[29]

ومن جمال الظاهر أيضاً كما يقرر ابن القيم الحرص على حسن الهندام ونظافة الثياب وترتيبها، مما يجعلنا ننبه على أن صورة الحسن الظاهرة عنده ليست قاصرة على المرأة فحسب، بل للرجل نصيب منها ،سواء في حسن خلقه، كما هو الحال في صورة يوسف عليه الســـلام، أو في اهتمامه بنظافته الشـــخصـــية وترتيب ثيابه بصـــورة لائقة، وكلها من الأمور المحمودة التي حثت عليها النصوص الدينية ، فكان النبي محمد – صلي الله عليه وسلم — مثالًا وقدوةً يحتذى بها في هذا الشأن، يهييء نفسه ويصلح من ثيابه ويعيد ترتيب شعر رأسه ولحيته عند الذهاب إلى المسجد للصلاة أو في بيته وعند اللقاء بأصحابه، وتصديقًا لذلك قال تعالى" يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ" [الأعراف:31]

هذا عن الجمال الظاهر ، أما الجمال الباطن فهو جمال الروح و الجمال المحبوب لذاته، ويقصد به ابن القيم جمال العلم والأخلاق من جود وعفة وشجاعة وعدالة ،وغيرها من القيم الأخلاقية الجميلة المحمودة.[30]

أما العلم فهو أشرف ما في الإنسان، وبه حاز آدم من صفات الكمال ما جعله أفضل مخلوقات الله تعالى، فلما أراد سبحانه أن يظهر للملائكة سر فضله وشرفه المقدم عليهم حتى أمرهم أن أسجدوا لآدم، أظهر لهم " أحسن ما فيه وهو علمه"[31].

ولأجل ذلك استشهد الله — جل شانه — بأولي العلم على أعظم مشهود عليه، وهو توحيده، فقال :"شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ " [آل عمران: 18]، وهو ما يكشف عن فضل العلم وشرف أهله ، لهذا جعل الله العلماء به ورثة الرسل والأنبياء، فهم الراسخون في العلماء والوسائط بين الرسول وأمته وهم في الطبقة الرابعة في الجنة من طبقات المكلفين، وهذه مرتبة الصديقين "أفضل مراتب الخلق بعد الرسالة والنبوة"[32].

وإذا كان شرف العلم من شرف موضوعه، فإن العلم بالله الموروث عن عبده ورسوله أصل كل علم ، وإليه يرجع علم العبد بكماله ومصالح دنياه وآخرته. بل إن العلم إمام العمل وقائده عند ابن القيم، وبدونه يصبح العمل غير نافع لصاحبه ، والكمال الإنساني يقتضي أن يكون الإنسان كاملًا في قوتيه العلمية والعملية حيث صلاح " القوة العلمية بالإيمان، وصلاح القوة العملية بعمل الصالحات "[33].

ويعنينا أن نؤكد على أن تحقق العلم بهذه الكيفية عند ابن القيم أمرًا واجبًا ، فقد خلق الله الخلق لعبادته، ونصب لهم علمًا لا كمال لهم بدونه ، وهو أن تكون حركاتهم" موافقة لما يحبه الله منه ويرضاه،لهذا جعل اتباع رسوله دليلًا على محبته"[34].

والحق أن العلم فضيلة الروح ، وهي ميتة بدونه من هنا نبه ابن القيم إلي المماثلة القائمة بين نسبة العلم للروح ونسبة الروح للبدن، فكما أن الروح علة وجود الكائن الحي ومصدر الحياة فيه، كذلك العلم به حياة الروح أو موتها بغيابه. وتحقق العلم من هذه الناحية يحيي الروح ويبهج القلب ، بما يثمره من القين الذي هو أعظم حياة لهما معًا. فإذا باشر القلب

اليقين امتلأ نورًا، فأثمر كل علم نافع وعمل صالح وهدى مستقيم، وهو هنا يستشهد بقول شيخ العارفين الجنيد كما وصفه"اليقين هو استقرار العلم الذي لا ينقلب ولا يتحول ولا يتغير في القلب".[35]

وسر ذلك يكمن —على حد قول ابن القيم– في أن كل عضو من أعضاء الإنسان له كماله الخاص به، فمتى عدم هذا الكمال ظل قابعًا في النقص والألم ، إلى أن يحقق كماله اللائق به، فكمال العين إنما يكون بمباشرتها لفعل الإبصار، وكمال الأذن بسماع الأصوات، بينما كمال الأنف في شم الروائح، واللسان في التذوق والكلام، وهكذا في سائر الأعضاء الإنسانية ، وأما كمال القلب بوجه خاص فيتحقق في"معرفته سبحانه وإرادته ومحبته"[36]

بدون هذه المعرفة الإلهية يفقد القلب طمأنينته وسلامه بضياع كماله، ويظل رازخاً في الهم والقلق والإضطراب مهما نهل من علوم الدنيا وزخارفها، حتى يصل إلى كماله اللائق به وهو الله والعلم به.

الواقع أن كلام ابن القيم بشأن كمال القلب وحياة الروح المتحقق بمعرفة الله ومحبته أمرًا مقبولًا ويعكس خلفيته الدينية، ولا ضير في هذا، لكن يؤخذ عليه أن يحصر الأمر كله أولًا وأخيرًا في العلم الإلهي وينحي العلوم المادية الطبيعية جانبًا، وهو ما لا يستقيم مع ما أراده الحق من عباده وأمانة عمارة الدنيا التي شرف الإنسان وحده بحملها دون غيره من مخلوقات الله ، فلم يكن الدين يومًا ليستهين بالعلوم الكونية أو يقلل من أهميتها، بل الواجب الجمع بينهما والحث على التفكير العقلي والأخذ بالأسباب، فيضاف جمال العقل وعلومه إلى جلال القلب ويقينه، وهو ما أكدت عليه النصوص الدينية، وكان عليه المسلمون الأوائل في أزهى عصور الحضارة الإسلامية ، وكان الأجدر به أن ينبه لذلك ويدعو له .

على أي حال، يتمثل جمال العلم الذي نبه له ابن القيم في العلم النافع وقال عنه" باب شريف ينتفع به انتفاعًا عظيمًا في فهم الفاظ القرآن ودلالته، ومعرفة ما أنزل الله على

رســـوله"[37]، وبقدر ما يحقق العلم النافع لأصـــحابه من جمال يحمد لأجله، بقدرما يذم تاركه لأن عدم هذا العلم يلحق بصاحبه مفسدتين:

**الأولي** :- الجهل بحدود الله يجعل المرء يدخل في مســمى اللفظ ما ليس له فيســاوي بين ما فرق الله بينهما.

**الثانية** :- أن يخرج من مســمي اللفظ بعض ما هو له،فيســلب عنه حكمه،فيفرق بين ما جمع الله بينهما.

**وهنا يشـــير ابن القيم إلى طبقات الناس في العلم والهدي، فيجعلها على ثلاث طبقات هي :-**

*** الطبقة الأولي :**

هؤلاء هم ورثة الأنبياء والرسل عليهم جميعًا السلام ، وهم الذين أتموا تحصيل الدين علمًا وعملًا ،فضــلًا عن تحقيق الدعوة إلى الله - عز وجل — ورسـوله - صـلي الله عليه وســلم — وقد شـــبه ابن القيم هذه الطبقة من الناس بالطائفة الطيبة الذكية من الأرض التي قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشــب الكثير، فزكت في نفســها وكانت علة زكاة الناس بها، وذلك لأنهم"جمعوا بين البصـــيرة في الدين والقوة على الدعوة ، ولذلك كانوا ورثة الأنبياء صـــلى الله عليهم وسلم".[38]

*** الطبقة الثانية:**

هؤلاء هم حفظة النصوص الدينية ، وانصب اهتمامهم على حفظ النصوص وضبطها، وعنهم أخذها الناس وفهموها واســتنبطوا منها ما ملأ الدنيا علمًا وفقهًا، ومن هؤلاء عبد الله بن عباس حبر الأمة وترجمان القرآن.

*** الطبقة الثالثة:**

يصـــفهم ابن القيم بأنهم أشـــقى خلق الله لأنهم لم يقبلوا هدى الله ، فهم أهل الجهل والظلم ؛ لأنهم "جمعوا بين الجهل بما جاء به والظلم بإتباع أهوائهم "[39].

ويعد هذا القســـم من الجمال، أو جمال الباطن محل نظر ومحبة الله من خلقه، على حد قول ابن القيم، وهو يستشهد هنا بما جاء في الحديث الشريف "إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم".[40]

وهنا يكمن شرف القسم الآخر من الجمال عند ابن القيم ، أعني الجمال الباطن حين يراه يعلو فوق حسن الظاهر، فيجعله الأصل ورمانة الميزان وإليه القصد والسبيل، فمتى كمل الجمال الباطن حسن قبح الظاهر والعكس غيرصحيح ، يدل على ذلك قوله : "فحسن الباطن يعلو قبح الظاهر ويستره، وقبح الباطن يعلو جمال الظاهر ويستره" .[41]

فالجمال الباطن هو الذي يعول عليه وليس الصورة الظاهرة مهما بلغ حسنها، بل إن جمال الروح هو الذي يزين الصـــورة الظاهرة كيفما كانت، حتى لو لم تكن ذات جمال، فتطبع صاحبها بطابع الحسن وتصبغ عليه مهابة وجمال وملاحة بحسب ما اكتسبت روحه من هذه الصفات، وذاك الجمال الباطن لهذا فإن المؤمن"يعطي مهابة وحلاوة بحسب إيمانه، فمن رآه هابه ، ومن خالطه أحبه."[42]

وهو الأمر الملاحظ في حياتنا اليومية، فصـــاحب الأخلاق الجميلة، ، يراه الناس في أحلى صورة – وإن خلا من الحسن — إذ تجملت صورته الظاهرة بفعل ما كسب باطنه من الجمال ؛ ولهذا أجابت إحداهن–كما يقول ابن القيم — لما سئلت عن سر إكثارها من صلاة الفجر : إنها تحســـن وجهي وأنا أحب أن يحســـن وجهي ، وهكذا يعلو الجمال الباطن فوق الظاهر، وهو ما نستدل عليه من قوله" ومما يدل على أن الجمال الباطن أحسن من الظاهر أن القلوب لا تنفك عن تعظيم صاحبه ومحبته والميل إليه."[43]

وإطلالة على كلام ابن القيم تكشف عن صلة عامرة بين الجمال من جهة والمحبة من جهة ثانية، وهو ما يفضي بنا إلى الحديث عن الجمال وعلاقته بالحب.

## * الجمال والحب:-

أشـــار ابن القيم إلى أن العالمين العلوي والســـفلي إنما وجدا بالمحبة ولأجلها وكذلك حركات الأفلاك والشمس والقمر والنجوم وحركات الملائكة والحيوانات كلها كانت بعلة الحب، فحركة كل متحرك وجدت بفعل المحبة، وهو يمعن في تثبيت قوله بمقدمة طويلة عن الحركات الثلاث الإرادية والطبيعية والقســرية بكلمات شــبيهة بما قرره قبل ذلك ابن ســينا في برهانه الطبيعي السـيكولوجي أو ما يسـمى ببرهان الحركة في إثبات وجود النفس، ذلك البرهان الذي أخذه الشـيخ الرئيس عن أرسـطو حرفيا في كتابه النفس. ثم يزيد بأن الحق الذي خلق الخلق لأجله هو" عبادة الله وحده التي هي كمال محبته"[44]

ذلك الحق الذي يراه ابن القيم صراط الله وعليه أحب الأشياء إليه، فالغايات المحمودة في أفعاله جل شأنه هي الحكمة التي يحبها ويرضاها، فإن سأل سائل: فلماذا خلق الله سبحانه وتعالي ما يكره؟ لكان جواب ابن القيم: لاســتلزامه ما يحبه وترتب وقوع ما يحبه على ما يكره أحياناً، ولذلك قد يترك سبحانه فعل بعض ما يحبه" لما يترتب عليه من فوات محبوب له أعظم منه، أو حصول مكروه أكره إليه من ذلك المحبوب"[45].

لهذا ثبط الله قلوب أعدائه عن الإيمان به، لأنه يكره أن يفوت جهادهم و بذل أوليائه نفوســهم فيه، وإيثار محبته ورضــاه الذي هو أحب إليه من طاعاتهم، لأجل هذا خلق الموت وكافة صور الحياة الإنسانية، بما تتضمنه من نعم وابتلاءات ليختبر الخلق فيري أيهم أحسن عملًا، وأيهم جاء عمله موافقًا لمحبة الله – تعالى — فيكون بذلك موافقًا الغاية التي خُلِقَ لها وَخُلِقَ لأجلها العالم ، وهي" عبادته ومعرفته، وأصل عبادته محبته"[46].

فجاءت حركات العالمين العلوي والسفلي وما فيهما موافقة للأمر الإلهي سواء الأمر الديني أو الكوني الذي قدره وقضاه، ولأنه تعالى حكيمًا ولا يخلق شيئًا سدى، بل لما فيه من الحكمة والغايات الجميلة المحمودة، وما يترتب عليها من أمور قد يكره أسبابها لكنه يحب الغاية من ورائها ، فهو يحب المغفرة مع كرهه للمعاصي، ويحب أن يستر عباده، وإن كره ما يستره فيهم.

وسر هذا أنه — سبحانه جل شأنه — حاز الكمال المطلق في أسمائه وصفاته، فهو له من جميع الوجوه، ومنزهًا عن النقصِ من أي وجه؛ ولأنه يُحِبُّ أسماءه وصفاته ، ويُحب ظهور آثارها في خلقه، لأنَّ ذلك من لوازم كماله، تجلى لعباده " في صفات الجمال والكمال"[47].

ومن ثمَّ يتبين لنا أنَّ علة الجمال في الأصل هو الله — جل شأنه – فهو الجميل بإطلاق وهو مصدر كل مظاهر الجمال في عوالم الطبيعة ، فإذا كان الله جميل يُحبُّ الجمال لم يكن بد من تقديره للأسباب التي تظهر آثار هذه الصفة فيها، وبها إلى جانب غيرها من صفات يستدل عباده على كمال أسمائه وصفاته، وتكون بذلك مدعاة لمحبته وحمده والثناء عليه بما يليق به، وما هو أهل له، وهكذا تنطق ألسنة الناظرين للجمال بقولهم: سبحان الله رب العالمين، وتبارك الله أحسن الخالقين؛ فتحصل الغاية التي خلق لها الخلق، ولأجل ذلك أباح البعض النظر إلى الصور الجميلة، والاستمتاع بها، وبالتالي إباحة العشق، وكانوا قد ركنوا فيما ذهبوا إليه إلى ما جاء في قوله تعالى" أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ ". [الاعراف :185]

ويشمل قوله تعالى جميع ما خلق الله من موجودات ، فما الذي أخرج من عمومه الوجه المليح؟

إذ الوجه الحسن إلى جانب سائر الموجودات تشهد بعظمة خلق الله — تعالى — ودلالة على ما له من صفات الكمال والجلال والحكمة، وهو وحده — الوجه الجميل– من أحسن ما خلق الله وموضع الاستدلال به والاعتبار أقوى، وقد أوجده ليستدل به الناظر على قدرته ووحدانيته وبديع صنعه ، فما موقف ابن القيم من هذه الدعوى؟

فرق ابن القيم بين تذوق الجمال بالمعنى الحسي المقيد بالصورة الجميلة موضع التأمل، والتي تكون في الغالب مبتدأ للمحبة والعشق والافتتان، والجمال الذي أمر به – سبحانه وتعالى — وهوالكاشف لمعرفته ومحبته، والمستدل به على كمال أسمائه وصفاته ، وليس النظر الموجب التعلق بالصورة الجميلة، والادعاء بأن في نظرهم عبادة، وهو ما وقعت فيه طوائف كثيرة ممن تدعي المعرفة والسلوك — على حد قوله — حتى زعم بعضهم :"أن معبوده يظهر في تلك الصورة ويحل فيها، وإن كان اتحاديًّا قال: هي مظهر من مظاهر الحق"[48].

ولعمري لقد خلط ابن القيم بين فكرة وحدة الوجود بالمعنى المادي كما هي عند الرواقيين وسبينوزا على سبيل المثال ، ووحدة الوجود بالمعنى الروحي الموجود لدى بعض طوائف أهل المعرفة والسلوك من الصوفية كابن عربي مثلًا، الذي يرى في جمال العالم جمال الله ،لأنه تعالى جميل يحب الجمال ، فمن أحبَّ العالم من هذه الزاوية، فقد أحبه بحب الله ، وما"أحب إلا جمال الله ، فإن جمال الصنعة لا يضاف إليها، وإنما يضاف إلى صانعه"[49].

والمهم عند ابن عربي لا يكمن في أنه جعل الجمال سببًا للحب فقط ، بل لأنه جعله مقامًا يوصل لمحبة الله ؛ لأنه لما كان ما هو مأمور به مقامًا يكتسبه العبد، فقد لزم أن يتحقق بمقام الجمال ليحبه الله ، فقد ورد في السنة على لسان النبي أَنَّ الله جميلٌ يحب الجمال ، ومن ثمَّ فقد نبهنا عليه السلام أنْ نحب الجمال من هذا الوجه[50].

كذلك تتوثق الصـــلة عند ابن القيم بين الجمال من جهة، والمحبة من جهة أخرى باعتبار الأخيرة من لوازمه ، وهو يجعل اللذة تتبع المحبة ، مما ينبه إلى التلازم القائم بين المعاني الثلاثة: الجمال، والمحبة، واللذة، وكأنه مثلث بأضـــلاع ثلاثة، رأس المثلث هنا هو الجمال والضـــلعان هما المحبة من جهة واللذة من جهة أخرى ، فها هو يقول" : اللذة تابعة للمحبة تقوى بقوتها وتضعف بضعفها"[51].

فكلما قويت المحبة صـــارت اللذة أقوى بإدراك المحبوب ؛ ذلك لأن اللذة في جوهرها أمرًا وجدانيًّا قائمًا على إدراك الملائم وضـــدها الألم وهو إدراك المنافي للطبع فتصـــبح بهذا ضـــرورة لكل حي وهي مطلوبة ولا تذم إلا "إذا أعقبت ألمًا أعظم منها أو منعت لذة خيرًا منها".[52] بينما تحمد إذا أعانت في الوصـــول إلى لذة أعظم وأدوم منها وهي عند ابن القيم لذات الآخرة ونعيمها.

معنى ذلك أنَّ لذات الدنيا عاجلة وهي وسـيلة للوصـول إلى اللذات الدائمة الأخروية، حيث يلتذ بها صـاحبها من وجهين: فرحه وتنعمه بها، وإفضـائه لمرضـاة ربه بما تتضـمن من لذة أكمل منها، فهذه"اللذة التي ينبغي للعاقل أن يسعى في تحصيلها"[53].

وهو ما يتكشـف من خلال تقسـيم ابن القيم اللذات إلى ثلاث ترتقي من الأدنى إلى الأعلى:

1- لذات جسمانية مثل: لذة المأكل والمشرب والمنكح .
2- لذات خيالية وهمية مثل : لذة الرئاسة و الفخروالتعاظم على الخلق .
3- لذات عقلية روحانية ، وهي لذة العلم والمعرفة والأخلاق الجميلة .

فأضـعف اللذات الجسـمانية التي لا كمال لها إذ يتشـارك الإنسـان فيها مع سـائر الحيوانات، بينما أعظمها اللذات العقلية الروحانية وهي لذة النفس الفاضـــلة العلوية، فإذا

انضـــمت إلى" لذة معرفة الله — تعالى — ومحبته وعبادته، فصـــاحب هذه اللذة في جنة عاجلة" (54).

ولا يفهم من هذا أنه ينكر على الإنسان تحصيل اللذات الحسية الدنيوية المختلفة، بل على العكس غاية ما هنالك أنه يشـترط في اللذة ألا تفوت على صـاحبها لذة اعظم منها، ولا تصـرف إلا لوجه الله وفي مرضـاته، فلا ضـير من التمتع باللذات المختلفة من مأكل ومشـرب وملبس ومنكح، جنبا إلى جنب لذة معرفة الله وإيثار محبته و طاعته ، فحق للرجل بهذا أن يتنعم بجمال زوجته التي يحبها وتقر عينه بها، بل إذا "إلتذ قلبه وبدنه ونفســه بوصــالها أثيب على ذلك"(55).

بالإضافة لذلك، العلاقة بين اللذة والمحبة على ما يرى ابن القيم علاقة طردية، بمعنى أنه كلما كانت المحبة والرغبة في المحبوب والشوق إليه أقوى، كلما كانت اللذة بالوصـول إليه أتم وأكمل، فاذا زادت المحبة فاضت اللذة والعكس صحيح.

وههنا دقيقة، فالمحبة والشـوق هنا تابعة لمعرفته بالمحبوب والعلم به، فكلما كان العلم به أتم كانت محبته أكمل، فإذا اشـــترط كمال النعيم واللذة في الآخرة تمام العلم والمحبة في الدنيا، فمن كان يؤمن بالله وأسـمائه وصـفاته على النحو السـابق ذكره ، كانت لذته الأتم و الأحب إليه في القرب منه ومجاورته.

وهذه اللذة العظيمة كما يرى ابن القيم لا تقارن بغيرها من اللذات الضـعيفة القصـيرة المشوبة بالآلام، ونسبتها إليها كقطرة في بحر، فمن كان ذا عقل سديد لحرص على هذه اللذة الأتم والدائمة أبد الآباد، وما انشـغل بغيرها من اللذات الخسـيسـة. فكمال العبد" بحسـب هاتين القوتين العلم والحـب، وأفضـــل العلم العلم بـالله ، وأعلى الحـب الحـب لـه ، وأكمـل اللـذة بحسبهما"(56).

فقد جعل الله بحكمته كمال أعضاء الإنسان بتحقق وظيفتها أو أعمالها المنوطة بها، فكل عضو من أعضاء الإنسان الظاهرة والباطنة آلة لشيء إذا استعمل في هذا الشيء كان فيه كماله ، فالعين آلة للنظر والإبصار، والأذن آلة للسماع ، والأنف آلة للشم ، واللسان آلة للنطق، والقلب آلة للتوحيد والمعرفة، والروح آلة للمحبة، والعقل آلة للتفكر والتدبر، وقس على ذلك سائر أعضاء الجسم الإنساني، فأكمل الناس "من علم ذلك وانشغل بالله فأكتملت لذته بتمام علمه ومعرفته ومحبته".[57]

## * دواعي المحبة ومتعلقها:-

يتكشف الارتباط القائم بين الجمال والمحبة عند ابن القيم من خلال دواعي المحبة عنده، فالداعي يراد به أحد أمرين: أولهما الشعور الذي تتبعه الإرادة والميل، وذلك قائم بالمحب، وثانيهما السبب الذي وجدت لأجله المحبة وتعلقت به، وذلك قائم بالمحبوب، وابن القيم يعد الداعي مجموع الأمرين معًا، أي" ما قام بالمحبوب من الصفات التي تدعو إلى محبته ، وما قام بالمحب من الشعور بها، والموافقة التي بين المحب والمحبوب ، وهي الرابطة بينهما وتسمى بين المخلوق والمخلوق مناسبة وملائمة"[58].

**وإنطلاقًا من قول ابن القيم، تتمثل دواعي المحبة في:-**

1) **وصف المحبوب وجماله.**
2) **شعور المحب بالمحبوب وجماله.**
3) **المناسبة والملاءمة بين المحب والمحبوب.**

فمتى تحققت هذه الدواعي الثلاثة وقويت حتى اكتملت كان ثمرة ذلك حصول المحبة، فإن ضعفت أو نقص أحدها ضعفت معه المحبة أو انعدمت، فالعلاقة بينهما لزومية فإذا وجدت دواعي المحبة وقويت واستحكمت، وجدت بالضرورة المحبة في تمامها، يثبت هذا قوله

: "فمتى كان المحبوب في غاية الجمال، وشعور المحب بجماله أتم شعور، والمناسبة التي بين الروحين قوية ، فذلك الحب اللازم الدائم"[59].

غير أن دواعي المحبة تختلف عن بعضها البعض من حيث قوتها وتأثيرها في حصول المحبة، فقد يكون الجمال في نفسه ناقصًا، لكنه غير ذلك في عين المحب الذي يرى في محبوبه الجمال التام ، وتكون قوة المحبة بحسب ذلك الجمال عنده، فالحب سلطان عظيم على صاحبه ، يجعله يبصر في محبوبه ما لايراه غيره، بل لا يرى المحب أجمل من محبوبه أبدًا مهما رأت عينه، لذا يحكى أنَّ عزة محبوبة كُثير دخلت على الحجاج فقال لها:" يا عزة . والله ما أنت كما قال فيك كثير، فقالت: أيها الأمير إنه لم يرني بالعين التي رأيتني بها. ولا ريب أن المحبوب أحلى في عين محبه وأكبر في صدره من غيره"[60]. ولهذا قيل مرآة الحب عمياء، في إشارة إلى ما يراه المحبوب في محبوبه من جمال وكمال قد لا يكون لا وجود له سوى في عينه وحده.

وقد يكون الجمال موجودًا بالفعل، لكن الشعور به غير قائم، فتضعف بالتالي المحبة لانتفاء الشعور بالجمال، فلو كشف للمحب عن حقيقته لأسر قلبه، ولهذا" شرع للخاطب أن ينظر إلى المخطوبة، فإنه إذا شاهد حسنها وجمالها كان ذلك أدعى إلى حصول المحبة والألفة بينهما"[61].

معنى هذا أن تحقق الجمال وحده لا يعد كفيلًا بحصول المحبة عند ابن القيم ، فالأمر رهن بشعور المحب بجمال المحبوب ، ربما لهذا نجده يفرد الصفحات الطوال التي يؤكد فيها على فوائد غض البص عن الصور الجميلة باعتباره مبتدأ المحبة والعشق، وخشية الافتتان، فيعدد من الفوائد عشر على الأقل منها أنه يورث لصاحبه في القلب نورًا وقوة وثباتًا، فيجعل له سلطان البصيرة مع سلطان الحجة، بالإضافة إلى الفرحة والسرور لقهره عدو نفسه وهواه، الذي هو أعظم من اللذة والسرور الحاصل بالنظر ، فيخلص القلب من أسر وسكر

الشهوة ورقدة الغفلة ، كما يورث كذلك الفطنة وصحة الفراسة ، ويفتح له طرق العلم وأبوبه ، ويسهل عليه أسبابه ، ويسد عليه بابًا من أبواب جهنم باعتبار النظر باب الشهوة الحاملة على مواقعة الفعل ، كما يقوي عقل صـــاحبه ويزيده ويثبته. لكن هذا فيما يتعلق بالجمال الحســـي الظاهر، فقد يســـتر هذا الجمال تجنبًا للافتتان على حد قول ابن القيم ، لكن ماذا عن الجمال الباطن؟ وكيف يستر ههنا وهو الأتم والأكمل والأقوى؟

وعودة إلى دواعي المحبة عند ابن القيم نجد المناســبة والمشــاكلة القائمة بين المحب والمحبوب من أقوى وأشـــد دواعي المحبة عنده، فإذا وجد الجمال في المحبوب، وشـــعر به المحب، وانتفت المناسبة بين روحيهما لم تستحكم المحبة، بل ربما انعدمت من الأصل، يثبت هذا قوله: "فإن التناسب الذي بين الأرواح من أقوى أسباب المحبة"[62].

وعلة ذلك أن حكمة الله — تعالى — على ما يقرر ابن القيم، قضـت بقيام التناسـب والتآلف بين الأشـباه من الخلق، وهو ما يشـاهد في العيان حيث تنجذب الأشـياء إلى ما هو يوافقها وعلى شـاكلتها، وتنفر مِمّا يخالفها، وهذا الأمر سـار في العالمين العلوي والسـفلي، فالمثل "إلى مثله مائل وإليه صائر والضد عن ضده هارب"[63]. وهويستشهد على صدق مراده بقول رسول الله – صلى الله عليه وسلم – :"الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف"[64].

وهنا يتفق ابن القيم مع ما قاله إخوان الصفا قبل ذلك، في معرض جوابهم عن السؤال التالي: ما العلة في محبة شخص لشخص؟

حيث يرفضـون ما ظنه كثيرًا من الناس لمّا جعلوا شـرط العشـق الأشـياء الحسـنة فحسب، فرب مستحسن ما وهو ليس بالحسن في شيء، لكن العلة في ذلك تتمثل في الاتفاقات القائمة بين العاشق والمعشوق وهي" بحسب المناسبات التي بين أجزاء المركبات".[65]

الأمر كذلك مع ما صرح به ابن حزم ( ت:456هـ) حين جعل المشاكلة والاتفاق في الصفات الطبيعية شرط حصول المحبة ، بل هي دليل على صدق المودة وقوتها،فكلما"كثرت الأشباه زادت المجانسة ، وتأكدت المودة".[66] ويستدل على ذلك بحديث الأرواح عينه الذي رجع إليه ابن القيم بعد ذلك، مِمّا يرجح إمكانية إفادة الأخير منه ، خاصة وهو يعود إليه وإلى كتابه طوق الحمامة في حديثه عن المحبة والعشق .

ولا يخالف ابن القيم أيضًا ما قرره الغزالي الذي ذهب إلى أنَّ السببَ الخامس للحب هو المناسبة والمشاكلة ، لأنَّ الأشياء المتشابهة تنجذب إلى بعضها البعض ، ومن ثمَّ الصبي يألف الصبي، والكبير يألف الكبير، وينفر الطير من غير نوعه ، ويأنس النجار بمثيله أكثر من الفلاح ، وهذا أمر" تشهد به التجربة وتشهد له الأخبار والآثار".[67]

* فإذا عدنا إلى ابن القيم نجده يقرر أن كل إمريء يصبو إلى من يناسبه، وهذه المناسبة نوعان:

- **النوع الأول:** مناسبة أصلية من أصل الخلقة ، وهو اتفاق أخلاق وتشاكل أرواح وشوق نفس إلى نفس أخرى تشاكلها، فالشيء ينجذب إلى ما يشبهه بالطبع.
- **النوع الثاني:** مناسبة عارضة بحكم المجاورة أو الاشتراك في أمر ما أو عدة أمور، وهنا يقع الميل أو الانجذاب بالخاصية كانجذاب الحديد إلى الحجر المغناطيس مع الأخذ في الاعتبار أنَّ وقوع الميل والانجذاب بين الأرواح أعظم منه في الجمادات بل لا مجال لمقارنة.

وهذا يذكرنا بالعلاقة بين الجمال والحب كما ذهب أفلاطون، وتفاصيل أسطورته في الهوس الرابع من محاورة فايدروس، ذلك الهوس الذي يحدث عند رؤية الجمال الأرضي، فيذكر الرائي بالجمال الحقيقي الكامن في العالم العلوي، فيشعر وكأن أجنحة قد نبتت لديه،

تدعوه للطيران إلى هناك وتهمل هذا العالم الأرضي بموجوداته، حتى "لتوصف بأنَّ الهوس قد أصابها. فمن يشارك في هذا الهوس ويتيم بجمال الفتية يقال عنه إنه مهووس بالحب"[68].

كما سارابن القيم هنا على نهج ابن حزم في معرض حديثه عن العلة التي توقع الحب على الصورة الحسنة، ليكشف عن الارتباط القائم بين الجمال والحب، فالظاهر أنَّ النفس حسنة ،"وتولع بكلِّ شيء حسن، وتميل إلى التصاوير المتقنة" [69].

وهو عين ما نجده لدي الغزالي بحديثه عن دواعي الحب وأسبابه، حيث جعل الجمال سببًا للحب جنبًا إلى جنب المناسبة والمشاكلة بين المحب والمحبوب، فإنَّ" كلَّ جمال محبوب عند مدرك الجمال"[70].

كما يقترب كلام ابن القيم مع ما قال به شاعر الصوفية جلال الدين الرومي (ت:672هـ) من قبله ، حيث جعل الأخير الجمال جزء من المحبة ، ولكن المحبة عنده هي الأصل، بمعني أنَّ الجمال وحده لا يلزم عنه بالضرورة حصول المحبة، ولكنَّ المحبوب بالضرورة يكون جميلاً، ودليل ذلك قوله :"كل محبوب جميل، لكن هذا البيان لا ينعكس، إذ لا يلزم أن يكون كل جميل محبوبًا . الجمال جزء من المحبوبية، والمحبوبية هي الأصل"[71]. فالشيء المحبوب سيكون جميلًا قطعًا، أما الجميل فقد لا يكون محبوبًا بالضرورة ، لأنَّ الجزء لا ينفصل عن كله، بل هو ملازم له في كل وقت، فأنظر إلى ليلى في زمن المجنون، برغم وجود جميلات يفوقنها في الحسن، غير أنَّ قيس لم يُحب سواها.

وعودة إلى ابن القيم الذي يستكمل كلامه عن دواعي المحبة فيجعلها في موضع آخر على أربعة : أولها داعي النظر سواء كان بالعين أو بالقلب إذا وصف المحبوب للمحب ، فالكثير من الناس يُحب محبوبه تمام الحب، ويفني في محبته دون أن يراه، إنما وصف له، وثانيها الاستحسان، فإذا لم يورث نظره استحسانًا لا تحصل المحبة، أما ثالثها ورابعهما فالفكر في المنظور وحديث النفس به ، فإن وجد قلبه انشغل عنه بغيره، كان الأخير أهم عنده ، ولم

تقع المحبة ، فمتى صادف النظر والاستحسان والفكر قلبًا خاليًا تمكن منه واستحكمت المحبة. ولهذا قيل" العشق حركة قلب فارغ. "[72]

## فإذا تساءلنا: فهل تشترط المحبة الطمع في وصل المحبوب؟

جعل ابن القيم الناس في هذا على أقسـام، منهم من يعشـق الجمال المطلق، فقلبه معلق به، أينما حلت ركائبه بصرف النظر عن الوصول إليه، أي لا يتوقف عشقه علي الطمع في الوصـول للمحبوب، ومنهم من يعشـق الجمال المقيد سـواء ، وهؤلاء على صـنفين: من طمعت نفسه في الوصول لمحبوبه، ومن لم يطمع، وهناك من لم يعشق إلا من طمعت نفسه في وصاله ، فإن حيل بينه وبين وصال محبوبه ، لم يعلق قلبه به، وغادرت المحبة إلى غير رجعة. والأقسـام الثلاثة موجودة بالفعل، فإذا كان النظر مبدأ العشـق فعلى المرء ألا "يعرض نفسه للإسار الدائم بواسطة عينه"[73].

لذلك فَصَّلَ ابنُ القيم القولَ في أقسام المحبوب، فجعله على قسمين :

- الأول: محبوب لنفسه .
- الثاني: محبوب لغيره .

منعًا للتسـلسـل إلى ما لا نهاية فلابدَّ أن ينتهي المحبوب لغيره إلى المحبوب لنفسـه، وهو الله وحده ، فلا يحب لذاته سـواه، وكل ما عداه ينبغي أن يحب لأجله، فهو من لوازم محبته، كمحبة الملائكة والأنبياء وأولياء الله ؛ لأنَّ "محبة المحبوب توجب محبة ما يحبه".[74] وهذه هي المحبة النافعة، وكانَ مقصـوده أن يصـل بالمحبة إلى تحقيق الوحدانية، بتوحيد المحبوب الواحد لذاته وهو الله ؛ لذلك ذهب إلى أنَّ ما يحب لذاته هو من كان كماله وإلهيته وربوبيته وغناه عَمَّن سـواه من لوازم ذاته، وغير ذلك يحب لمحبته ويبغض لبغضـه، فهو الأصل وغيره من محبوبات تكون لأجله، وهذا سمت العقل الراجح الذي يؤثر أعلى المحبوبين على أدنيهما.

**وههنا أربعة أشكال من المحبة :**

- أحدها : محبة الله .
- وثانيها: محبة ما يحبه الله .
- وثالثها: المحبة لله .
- ورابعها: المحبة مع الله .
- والأخيرة هي المحبة الشركية ،لأنَّ من أحب شيئًا مع الله دون أن تكون محبته لله أو من أجله، فقد اتَّخذَ من دونه أندادًا له .
- وخامسها : المحبة الطبيعية، وتكمن في ميل الإنسان إلى ما يلائم طبعه مثل محبة الطعام والشـــراب والزوجة والولد، وهي محبة غير مذمومة إلا"إذا ألهت عن ذكر الله ، وشغلت عن محبته".(75)

مِمّا يعني أنَّ كمال المحبة لا يتحقق إلا بمحبة الله – تعالى– وذكره والشـــوق إليه ، بوصـفه المحبوب الأعلى، أمّا أنْ يجتمع في القلب حبه تعالى وعشـق الصـور الجميلة فغير حاصـــل ؛ لأنهما ضـــدان، فمن اســتحكمت قوة حبه للمحبوب الأعلى في قلبه، أخرجت منه محبة سواه ، وإن أحبه لم يحبه إلا لأجله ، إذ " المحبة الصادقة تقتضي توحيد المحبوب".(76)

ولما كان النظر وما يلزم عنه من محبة الصـــور تفوت على المرء ما هو أنفع له وما لا صـلاح له بدونه أعني محبة الله ، فسنرى ابن القيم يتوقف لشرحه ومناقشته ، ويمعن في ذكر أحكام النظر وغائلته وما يجني على صـاحبه فيجعله موضـوع الباب السـادس من كتابه روضـة المحبين ونزهة المشتاقين، وعلة ذلك تكمن في كون العين مرآة القلب، فإذا غض المرء بصره عن الجمال الماثل أمامه غض القلب شهوته وإرادته، والعكس صحيح، فلو أطلق المرء بصره، أطلق القلب شهوته ووقع أسير عشقه.

والحق أنَّ القولَ بتوحيد المحبوب من جانب ابن القيم، وما لزم عنه من كمال المحبة يســـتقيم مع غاية الخلق، فما خلق الحق تعالى الإنس والجن إلا ليعبدونه حق عبادته، ولأنَّ العبودية وحقيقتها عنده لا تحصل مع الإشراك بالله في المحبة، كان من البدهي أن يؤكد مرارًا وتكرارًا على توحيد المحبوب لتتم الغاية النهائية من الخلق بلزوم العبودية وموجباتها من كمال الحب مع الخضوع والذل للمحبوب وحده ولأجله.

وقد استدلَّ الخلق على محبته بالفطرة التي فطروا عليها، فقد جبلت القلوب على محبة الله وتأليهه ، كما عرَّف محبته تعالى من أسـمائه الحسـنى وصـفاته وتجلياتها في موجودات العالم الأرضـــي، ومن بديع آثار صـــنعته، إذ الجمال والجلال من دواعي المحبة، وهو جميل يحب الجمال، بل"الجمال كله له والإجلال كله منه".[77]

وبوجه عام يعد الجمال بجانبيه الظاهر والباطن من دواعي المحبة عند ابن القيم، فمتي " كان جميل الصورة جميل الأخلاق والشيم والأوصاف كان الداعي منه أقوى"[78].

مما يكشف عن التلازم الحاصل بين الجمال والأخلاق المحمودة عنده، فحري بنا نقل دفة الحديث صوبه.

## * الجمال والأخلاق:

تتوثق الصـلة عند ابن القيم بين الجمال الباطن من جهة، والأخلاق من جهة ثانية ، فما جمال الباطن عنده سوى جمال العلم والأخلاق والتقوى كما سبق القول .

والأخلاق عند ابن القيم فطرية سـواء ما كان محمودًا منها أو مذمومًا، يثبت هذا قوله :"الأخلاق مواهب يهب الله منها ما يشاء لمن يشاء، ويجبل خلقه على ما يريد منها"[79].

**فإذا سأل سائل: هل يمكن أن يقع الخلق كسبيًّا، أم هو فطريًّا فحسب؟**

يذهب ابن القيم إلى إمكان قيام الأخلاق الكسبية بالتخلق وهو دوام العمل والمواظبة على الفعل الأخلاقي، حتى يصبح كالملكة بالنسبة له، وتكون بذلك الأخلاق عنده فطرية وكسبية معًا، وهو بهذا يتفق مع جاء في النصوص الشرعية، لقوله : صلى الله عليه وسلم :" حسنوا أخلاقكم"[80].

ويأتي ابن القيم في هذا على النقيض من ابن سينا، الذي رأى أنَّ كلَّ إنسانٍ مفطور على قوة بها يفعل الأفعال الجميلة والقبيحة معًا، ومعنى هذا أنَّ القوة التي نفعل بها الأفعال الجميلة أي الفضائل، هي نفسها القوة التي نؤدى بها الأفعال القبيحة، أو الرذائل، وعن طريق هذه القوة إمّا أنْ نجنح إلى الأفعال القبيحة، وإمّا أنْ نميل إلى الأفعال الجميلة،هذه القوة هي الاكتساب، فالأخلاق "كلها الجميل منها والقبيح هي مكتسبة"[81].

ويعرف ابن القيم حسن الخلق فيجعله" بذل الجميل، وكف القبيح".[82] ويقوم على أربعة أركان عنده، الصبر والعفة والشجاعة والعدل، وهما بمثابة أمهات لسائر الفضائل الفرعية، ومنشأ لجميع الخلاق الفاضلة التي تنبثق عن كل منها، فالصبر يحمل صاحبه على كظم الغيظ، والحلم والإناة، والرفق، أمّا العفة فتحمله على اجتناب كل ما هو قبيح من قول وفعل، وتدفعه نحو الحياء رأس كل خير، وأما الشجاعة فتحمل صاحبها على عزة النفس وإيثار الفضائل الجميلة، وأخيراَ العدل وهو في ظني أهم الأركان الأربعة، فتحقق العدل وحده يكفي لقيام سائر الأخلاق الفاضلة، لأنَّه "يحمله على اعتدال أخلاقه ، وتوسطه فيها بين طرفي الإفراط والتفريط".[83]

فإذا كانت الأخلاق الفاضلة كلها عند ابن القيم وسط بين طرفين هما الإفراط والتفريط ، إذ"كلا طرفي قصد الأمور ذميم، وخير الأمور أوساطها".[84] فلا عجب لو قلنا : بأنَّ العدلَ هو رأس الحربة في نسق ابن القيم الأخلاقي، ومصدر سائر أركانه الفاضلة الأخرى، ويجتمع عنده كل خلق جميل، كالجود وهو وسط بين البخل والتبذير، والتواضع وهو وسط بين الذل

والكبر، أما الحياء فيتوسط الجرأة والعجز، والصبر وسط بين الجزع وقسوة القلب، والشجاعة وسط بين التهور والجبن، وهكذا في سائر الفضائل.

بناءً على ذلك، لا يخرج ابن القيم فيما ذكره عما هو موجود لدي فلاسفة الإسلام ومفكريه، ومن قبلهم حكماء اليونان، فالفضيلة عندهم وسط بين طرفين كلاهما مذموم، وهي ملكة اختيار الوسط العدل بين الافراط والتفريط.

غير أنَّ قول ابن القيم بحد الأخلاق الفاضلة يعكس أيضًا أثر العقيدة الإسلامية الذي يبدو واضحًا عليه ، فالوسط الذي قال به لا يختلف عن الوسطية التي نصت عليها شريعتنا الإسلامية، وما جاء في النصوص الدينية، من دعوة إلى الاعتدال في كل شيء والابتعاد عن الإسراف والمغالاة، فنحن في النهاية أمة وسطًا، فقال تعالى :" وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا " [البقرة: 143] .

بالإضافة إلى ذلك، نبه ابن القيم إلي الجمال في الفعل والعمل، فقد خلق سبحانه وتعالى هذا العالم بكل ما فيه من موجودات، وموت و حياة، وزين الأرض بما عليها، ليبلو عباده فيرى أيهم أحسن عملًا لا أكثر عملًا، والأحسن هوالأخلص والأصوب ، وهو الموافق لمرضاة الله – جل شأنه – ومحبته بصرف النظر عن الأكثر؛ لأنَّه تعالى" يُحبُّ أنْ يتعبد له بالأرضى له ، وإن كان قليلًا دون الأكثر الذي لا يرضيه، والأكثر الذي غيره أرضى له منه".[85]

## فإذا تساءلنا بم تتفاضل الأعمال ؟

يرى ابن القيم الفضل في العمل يكون بحسب رضا الله به ومدى قبوله ومحبته له، كفرحته العظيمة بالتوبة الصادقة للتائب أكثر من أعمال كثيرة من التطوعات ، فالأعمال تتفاضل بما في القلوب من الإيمان والمحبة لله وحده دون "شيء من الحظوظ سواه"[86].

تتفاضـــل الأعمال أيضًـــا بالمواظبة على العمل ، وتجريد الإخلاص و المتابعة ، تفاضـــلًا لا يحصـــيه إلّا الله ، وينضـــاف إلى هذا كون أحد العملين أحب إلى الله في نفســـه كالجهاد وبذل النفس لله تعالى، ومن ثمَّ فالفضـــل في الأعمال عند ابن القيم ليس بكثرتها وعددها وإنما" بإكمالها وإتمامها، وموافقتها لرضا الرب وشرعه".[87]

وهنا سر بديع، يبثه ابن القيم فيقرر أنَّ من تخلق باسم من أسماء الله تعالى أو صفة من صـــفاته أو خلق من أخلاقه، أدخله هذا الخلق عليه وأوصـــله إليه ، والرب تعالى هو الصـبور، بل لا أحد من خلقه أصـبر منه على أذى يسـمعه، فصـار الصـبر بابًا يدلف منه الصـبور إلى الله تعالى ، ويرتبط بمقامات الدين كلها من أولها إلى آخرها ، حيث يسميه عدلًا إذا "تعلق بالتســوية بين المتماثلين وضـــده الظلم، وســـمي ســـماحة إذا تعلق ببذل الواجب والمستحب بالرضا والاختيار، وعلى هذا منازل جميع الدين"[88].

ومن متعلقات جمال الباطن عند ابن القيم أيضـــاَ التقوى، وهي في حقيقتها العمل بطاعة الله إيمانًا واحتســابًا ، أمرًا ونهيًا، وأنت في ذلك كله، تطلب ثوابه ، وتخاف عقابه ، ولا تعمل إلا" على نورٍ من الله "[89].

وقريب من هذا حقيقة البر، وهو الكمال المطلوب من الشـــيء بما فيه من المنافع والخير، ومنه البُّر بالضم في إشارة إلى المنافع والخيرات التي لا تُعدُّ ولا تحصى ، ومنه القول رجل بار وبر وأبرار وكرام بررة ، فالبر على هذا "كلمة جامعة لجميع أنواع الخير والكمال المطلوب من العبد"[90].

ويقابل البر في معناه الإثم ، وهو كلمة جامعة لجميع أنواع الشرور المطلوب من العبد تجنبه.فيدخل في مســـمي البر الإيمان وأجزاؤه الظاهرة والباطنة، ولا ريب أن التقوى جزء من هذا المعنى وأكثر ما يعبر عن بر القلب، وقد شـــبه ابن القيم الإيمان بشـــجرة ، عروقها العلم

والمعرفة واليقين، وساقها الإخلاص، أمّا فروعها الأعمال، وثمرته آثار الأعمال الصالحة من" الآثار الحميدة، والصفات الممدوحة، والأخلاق الزكية"[91].

وإطلالة على قولِ ابن القيم يتكشف لنا حد البر عنده والذي يمثل في الإيمان بالبعث والثواب والعقاب في الدار الآخرة ، وهذه أصـــول الإيمان الخمس التي لا قوام له إلا بها، بالإضافة إلي التصديق بالشرائع الظاهرة والعمل بها من إقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة، والنفقات الواجبة، وأخيرًا الأعمال القلبية التي هي حقائق البر من الصـــبر والوفاء بالعهد. ومن ثمَّ فقد شملت كافة الخصال السابق ذكرها جميع أقسام الدين، وهي في ذاتها تمثل خصال التقوى بعينها.

معنى هذا أنَّ جمال الباطن عند ابن القيم هو المتحقق في حد البر والتقوى، بكل ما اشـــتمل عليه من حقائق ظاهرة وباطنة، وبما يحققه من جمال الفعل "الأخلاق" بشـــكل عام، والقلب"الإيمان" بشكل خاص.

ولأنَّ الله يُحبُّ أسماءه وصفاته، ويحبُّ مقتضى صفاته وظهور آثارها على خلقه كما ســبق ذكره، فهو جميلٌ يُحبُّ كلَّ جمال ، وعفو يُحبُّ أهل العفو والســماح ، كريم يكره البخل والشح ويحب الكرم وأهله ، عليم يُحبُّ أهلَ العلم، وهو كذلك صبور يُحبُّ الصابرين، مُحسنٌ يحب المحسنين،شكور يحب الشاكرين.

فإذا كان ذلك كذلك، فلا عجب أنه سبحانه وتعالى أحب" المتصفين بآثار صفاته، فهو معهم بحسب نصيبهم من هذا الاتصاف"[92].

فهذه المعية الخاصة كان قد عبر عنها سبحانه — جلَّ شأنه — بقوله على لسان نبيه :"من عادى لي وليًّا فقد أذنته بالحرب، وما تقرب إليَّ عبدي بشـــيء أحبُّ إليَّ مِمَّا افترضـــته عليه، ومازال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتي أحبه، فإذا أحببته كنت ســـمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر..إلخ..[93]

وعلى ذلك يصبح الجمال الباطن طريقًا إلى محبة الله عند ابن القيم، فمن تعلق بصفةٍ من صـــفاته أدخلته تلك الصـــفة عليه وأوصـــلته إليه، فإذا كان الله جميلًا يُحبُّ الجمالَ فمن تجمل ظاهره وباطنه في أفعاله وأخلاقه فقد سلكَ طريقًا إلى الله يصل به إليه.

فإذا تحقق العبد بجمال الباطن في الاعتقاد والعمل، كان ذلك ســببا في ســعادته في الدنيا والآخرة، وهو ما يقودنا للبحث في الجمال وعلاقته بالسعادة وكمالها عند ابن القيم.

## * الجمال والسعادة:-

جعل ابن القيم طاعة الله ورسوله السبب في السعادة العاجلة والآجلة، فمن تدبر هذا العالم بكل ما فيه من شرور أدرك أنَّ وراءَ هذه الشرور جميعها تكمن مخالفة الله والرسول — صـــلى الله عليه وســـلم — والأمر عينه في شـــرور الآخرة بعذابها وآلامها ســـببها عدم طاعة الأوامر الإلهية والسنة النبوية ، فلو أطاع الناس الله والرسول لاختفت الشرور عامة، وكذلك" الشر والألم والغم الذي يصيب العبد في نفسه"[94].

سبب شرور الدنيا والآخرة إذن الجهل بما جاء به الرسول — صلىالله عليه وسلم -، أو مخالفته والخروج عليه بعد العلم، وهذا برهان قاطعٌ على أنَّه لا نجاة للعبد إلا بالاجتهاد في معرفة ما جاء به الرسول — صلى الله عليه وسلم — علمًا والقيام به عملًا ، فلا سعادة للمرء إلّا بأنْ"يكونَ الله هو إلهه وفاطره وحده، وهو معبوده، وغاية مطلوبه"[95]. ومن ثمَّ تتبدى قناعة ابن القيم بسر سعادة الدنيا والاخرة ، حين يجعلها رهناً بمعرفة الحق علمًا وإيثاره على ما سواه عملًا، فمن تحقق بذلك كان من المنعم عليهم، ومن خالف ذلك كان من المغضوب عليهم.

أمّا المنعم عليهم فهم الذين مَنَّ اللهُ عليهم بمعرفة الحقِّ علمًا والانقياد إليه وإيثاره على ما سواه عملاً، فوصلوا إلى العلم وصدقه العمل، وهم على طريق النجاة، ويقابلهم من هم على

طريق الهلاك، لذا دعوا الرحمن الرحيم أنِ اهدنا الصـراط المسـتقيم صـراط الذين أنعم عليهم غير المغضوب عليهم.

وهنا يقترب ابن القيم مِمَّا قرره فخر الدين الرازي (606هـ) قبله، الذي عرف السـعادة بأنها ابتهاج النفس وفرحها بمعرفة الله — تعالى — وطاعته ومحبته، وإذا كان الأمر كذلك، فإنَّ"الإنسانَ الذي فاز بهذه السعادة فهو في الدنيا في الجنة وفي الآخرة أيضًا في الجنة"[96].

لذلك كانت أسـمى صـور السـعادة عنده هي السـعادة الناتجة عن معرفة الإنسـان لله وتحقيق كمال العبودية له وحده، عندئذ فقط تتحقق للمرء أسـمى درجات السـعادة في الدنيا والآخرة.

والعبد –على ما يري ابن القيم– مضطر كلَّ الاضطرار إلى أنْ يكونَ عارفًا بما ينفعه ويحقق سعادته في معاشه ومعاده، فإذا علم الحق فليلزم به نفسه ويؤثره، على ما يضره، وهذا هو الصراط المستقيم الذي ندعو الله به في كل مرة نقف بين يديه في كل صلاة من الصلوات الخمس كل يوم، وعليه تتوقف سعادة العبد.

وهنا تتوثق الصـلة بين الجمال الباطن المحقق في العلم والعمل "الصـراط المسـتقيم" وبين السعادة المحققة في الدنيا والآخرة، فالجميل هو السعيد في معاشه ومعاده، والجمال بهذا متحقق في صورته الباطنة بصرف النظر عن الظاهر منه.

وكلام ابن القيم عن العلم النافع على المسـتوي النظري والعمل بما يقتضـيه على الجانب العملي، وعلاقته بتحصـيل السـعادة يقترب ممّا قرره الفارابي من قبل لمّا أكد على أنَّ معرفة الفضـائل والحرص على اقتنائها يزكي النفس الإنسـانية ويرفع من قدر أخلاقها، ومعرفة الرذائل والبعد عنها يطهر النفس ويبعدها عما يحول بينها وبين السـعادة الدنيوية والأخروية، يثبت هذا قوله :"والأفعال التي تنفع في بلوغ السـعادة هي الأفعال الجميلة، والهيئات التي تصدر عنها هذه الأفعال هي الفضائل"[97].

والحق أنَّ الحديث عن الأفعال الجميلة وارتباطها بالسعادة، قد سيطر على أغلب فلاسفة الإسلام، والأمر عينه نجده عند الفقهاء والمتكلمين وغيرهم ومنهم ابن حزم، الذي أكد على أنَّ معرفة الفضائل والتحلي بها يؤدي إلى إدراك السعادة، وهو ما يكشف عنه تعريفه للسعيد بأنَّه"من آنست روحه بالفضائل والطاعات، ونفرت من الرذائل والمعاصي"[98].

**فإذا عدنا لابن القيم والسعادة عنده سنجده يرى كمال السعادة يتحقق بأمرين:**

- **أحدهما: دعوة الخلق إليه.**
- **والثاني: صبره واجتهاده على تلك الدعوة.**

بناءً على ذلك ينحصر الكمال الإنساني في مراتب أربعة: "أحدها العلم بما جاء به الرسول — صلى الله عليه وسلم — والثانية العمل به، والثالثة نشره بين الناس، والرابعة صبره وجهاده في أدائه وتنفيذه"[99].

فوجب على كل امرئ –كما يرى ابن القيم– أن يكون همه كله هو الله ومعرفته، ومعرفة ما جاء به رسول الله — صلى الله عليه وسلم –، وليسعَ لنشره بين الناس ويصبر على دعواه ما استطاع لذلك سبيلًا، فهذه غاية سعادة العبد، وحينئذ فقط يتحق بالجمال الباطن وبأعلى مراتب الكمال الإنساني ويحظى بالسعادة العاجلة والآجلة.

ولعمري فإذا كان ابن القيم قد أكد على الصلة الوثيقة بين الجمال الباطن من جهة، وسعادة العبد من جهة أخرى، لما يتضمنه الجمال من العلم بالله الذي هو أصل علم العبد بسعادته، فحريٌّ بنا أن ننبه إلى التلازم القائم عنده بين ثلاث العلم بالله، والمحبة له والسعادة، وهو ما نفهمه من عموم كلامه الذي يجعل معرفة الله تعالى تفضي بالضرورة إلى محبته، فإذا عرف العبد ربه حق معرفة أحبه، وإذا أحبه آثره ، وما يحبه على كلِّ ما سواه من المحبوبات، إذ" الحب تبع للعلم يقوى بقوته ، ويضعف بضعفه".[100]

انطلاقًا من كلام ابن القيم تتقدم المعرفة على المحبة ، فإذا حصـــلت على هذا النحو انكشفت صفات المعروف من جمال وكمال، وتحقق العارف بمحبة المعروف أي الحق تعالى ، وتكون المعرفة هنا ضـرورة لازمة لقيام المحبة ، فإذا ارتفعت زال معها الحب ، من هنا كان الربط المحكم عنده بين المعرفة من جهة ، والمحبة من جهة أخرى، فمن صـــحت معرفته صحت محبته.

وهو يتفق في هذا مع ما قرره الســراج الطوســي (ت:378 هـ) من قبل ، حين جعل المعرفة ســـابقة لا لاحقة على المحبة، وهو ما يتكشـــف حين يجعل المحبة من علامات المعرفة"لأنَّ من عرفه أحبه".[101]

كما لا يخفى تأثر ابن القيم بما قرره أستاذه ابن تيمية ( 728هـ) الذي ذهب إلى أنَّ المومنين هم الأعلم بالله من غيرهم ، وحجته في هذا أنَّ"الحب يتبع العلم".[102]

وهي الجملة نفسها التي كررها ابن القيم بعد ذلك. واحتج بها على صدق المحبة .

وبهذه المحبة الصـادقة وثبوتها في القلب، يصـل العبد إلى السـعادة في الدنيا والآخرة، يثبت هذا قوله" محبة الله وحده هي غاية كمال العبد وسعادته"[103].

فليس كل محبوب تقر به العين، لكنها تقر بأعلى المحبوبات، ذلك الذي يُحبُّ لذاته، وليس ذلك المحبوب لذاته ســـوى الله الذي لا إله إلا هو أمّا غيره " فإنمّا يُحبُّ تبعًا لمحبته، فيحب لأجله ولا يحب معه"[104].

وعلة ذلك أنَّ الحبَّ معَ اللهِ يُعدُّ من قبيل الشـــرك، فالمشـــرك يتخذ من دون الله أندادًا يحبهم إلى جانب حبِّ الله ، أمّا الحب لأجله فهو توحيد يليق به، والموحد يحب الله ، ويُحبُّ من يحبه لله ، ويبغض ما يبغض لله ، ويأخذ ويترك كذلك لله ، ومدار الدين كله على هذه القواعد الأربع وهي الحب والبغض ، ومايترتب عليها من الفعل والترك والعطاء والمنع" فمن استكمل أن يكون هذا كله لله استكمل الإيمان"[105].

فإذا كان ذلك كذلك، فلا عجب إنْ جعل ابن القيم غاية سعي البشر في تحصيل اللذات المختلفة والنعيم وطيب العيش، وتجنب الألم والعذاب والمعاناة، وهذا مطلوب صحيح لو تحصن بمعرفة ستة أمور:

- أولاَ: معرفة الشيء الملائم للإنسان والذي فيه لذته وسروره وكمال فرحه وطيب عيشه.
- ثانيا: معرفة الطريق الموصلة لذلك .
- ثالثاَ: سلوك ذلك الطريق.
- رابعاَ: معرفة الضار المؤذي الذي ينكد عليه حياته ويصيبه بالهم والحزن والألم.
- خامساَ: معرفة الطريق الذي يفضي به إلى ذلك.
- ساساَ: تجنب ذلك الطريق.

فالعاقل من يسعي في هذه الأمور لكن المشاهد في العيان يقضي بغير ذلك، فلماذا أخطأ الناس في تحصيل المحبوب النافع؟

سبب ذلك- كما يرى ابن القيم- إمّا عدم تصوره ومعرفته ، أو الجهل بالطريق الموصلة إليه، والجهل هنا وراء ذلك، وعلاجه العلم بالمحبوب النافع والطريق المؤدي لتحصيله. أو حصل العلم بالمطلوب وطريقه، ثمَّ حال حائل بينه وبين تحصيله، مثل شهوات القلب وإراداته ، فكلما"أراد ذلك اعترضته تلك الشهوات والإرادات، وحالت بينه وبينه"[106].

وها هنا لا يستطيع المرء ترك تلك الشهوات إلا بأحد أمرين:

* حب متعلق.

* فرق مزعج.

وبهذا أصـبح الله ورسـوله والدار الآخرة والجنة ونعيمها أحب إليه من هذه الشـهوات، ويعلم أنَّه لا يمكنه الجمع بينهما" فيؤثر أعلى المحبوبين علي أدناهما"[107].

ذلك لأن العقل السـديد، يقضـي به، فيؤثر أعلي المحبوبين علي أدناهما، وأدنى المكروهين ليتخلص به من أعلاهما، وبهذا الأصـل تتفاوت عقول الناس، وتميز بين العاقل وغيره، فأين عقل من أحب اللذة العاجلة بما يشوبها من حسرات ، وفوت اللذة العظيمة الدائمة التي لا تزول ولا تفنى، وآثرها على ما لاعين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ؟ بناءً على ذلك ، تكون اللذة التامة والفرح الدائم والبهجة التي لا تزول، والنعيم المقيم، إنمّا هو في" معرفة الله ،وتوحيده والأنس به والشوق إلى لقائه أو اجتماع القلب والهم عليه"[108].

وهكذا ربط ابن القيم بين الجمال الباطن والكمال الإنساني والأخلاقي والسعادة ، فالعلم يعكس جمالًا داخليًّا يشـهد له ويحض عليه ، وهو العلم بالله – تعالى — ومعرفته ومعرفة أوامره ونواهيه، وما جاء به الرسول — صلى الله عليه وسلم –، أما السعيد عنده فهو المتحقق بهذا العلم لأنَّ الخير كله فيه ، والشر كله في تركه.

## * أهم النتائج: –

* نخلص من كل ما سبق إلى ما يلي: –

- جعل ابن القيم الجمال حقيقة موضـوعية قائمة بالفعل بصـرف النظر عن الذات المدركة له ، فكل ما كان جميلًا هو كذلك بذاته ، لأنَّه يحمل من الصـفات ما يجعله منشأ الجمال في نفسه.بما ترتب عليه موقفه من حسن وقبح الفعل ، وهو في ذلك يقترب من المعتزلة التي قالت بالحسـن والقبح العقليين، وإن خالفهم في قوله بتوقف الثواب والعقاب في حسـن الفعل وقبحه على ورود الشـرع ، كما يختلف كذلك مع الأشـاعرة الذين جعلوا الحسـن عموما ما امر به الله تعالى ، وذهب الغزالي إلى أنَّ الحسن ما حسنه الشرع ، وهي المقولة التي رددها من قبله أبو المعالي الجويني.

- القول بالجمال كحقيقة عند ابن القيم يستقيم مع عموم فكره الذي يرى الغاية من الخلق تتمثل في تحقيق العبودية لله تعالى ، وتلك بدورها تقتضي معرفته ومحبته بالوجه الذي يليق به ، وهو معرفته بجماله وتمام كماله وإيثاره وما يحب على كل ما خلق. وبهذا تتحق الغاية من الخلق.
- بمقدار تعدد صفات الجمال والحسن عند ابن القيم تعددت وسائل إدراكه أيضًا من الحواس الظاهرة والباطنة إلى العقل والقلب، فلا يقف الإحساس بالجمال وتذوقه عنده على الحس فحسب، وهو ما ألقى بظلاله على أشكال الجمال عنده لينقسم إلى جمال ظاهر وباطن، وبقدر شرف العقل والقلب وتقديمه على الحس، كذلك يتقدم الجمال الباطن ليعلو الظاهر عند ابن القيم .
- يرتبط الجمال الحسي بموجودات العالم، بالجمال الإلهي المطلق، عند ابن القيم ، بحيث يصبح الأخير مصدر كل جمال مشاهد في الكون، وهو في هذا يتفق مع أغلب فلاسفة الإسلام ومفكريه، ممن ربطوا فكرة الجمال بالإله، كإخوان الصفاء، والتوحيدي والغزالي وابن عربي.
- ما قرره ابن القيم من تدرج الشعور بالجمال الإلهي من جمال الأسماء إلى الأفعال ثم الصفات وصولًا إلى أعلى مراتب الجمال المطلق وهو جمال الذات المحجوبة عن الخلق إلا الخواص منهم ، يُذَكِّرُ بجمالية أفلاطون المتصاعدة وصولًا إلى المثال المطلق.
- جعل ابن القيم الجمال مكونًا رئيسًا في عملية الخلق الإلهي للكون ، وربط بينه وبين الحب، فلأنه تعالى جميل يحب الجمال، وبالحب خلق العالم ، فأحب أنْ تظهر آثار أسمائه وصفاته فيه فخلق الجمال الذي يغلف كل شيء فليس في الإبداع أبدع مِمّا كان.
- تتوثق الصلة عند ابن القيم بين العلم بالله أو المعرفة والحب والجمال ، فالحب يتبع العلم، فإذا عرف العبد ربه حق معرفته أحبه بالضرورة ، وأعز معرفة لله تعالى معرفة من جماله وكماله، فمعرفة الله بالجمال لا تكون إلا لمن أحبَّه المحبة الصادقة وآثره

على غيره من المحبوبات، وأحبَّ ما يُحبه من أوامر، واجتنب ما يكرهه من نواهي ، فتبدأ المعرفة بالحب وتنتهي بالسلوك. وهو في هذا يتفق من ابن عربي الصوفي المتفلسف.

- يفضـــي الجمال عند ابن القيم إلى تحقيق التوحيد، فجمال الله الذي يدركه العبد، يجعله يحبه، وكمال المحبة ألا تتعلق إلا بالمحبوب لذاته وحده وهو الله.
- برغم تأكيد ابن القيم على الجمال الساري في كل شـيء من حولنا، ورده كل جمال إلى الله ، إلّا أننا لا نجد لديه ما يشـــجع على تذوق الجمال في الفنون من النحت والتصـوير والموسـيقي والغناء والشـعر، اللهم إلا بعض إشـارات تتعلق بجمال التلاوة والذكر القرآني، مع الإشارة إلى زينة الظاهر والباطن في بلاغة القرآن الكريم.
- قدر ابن القيم جمال المرأة الحســـي جنبًا إلى جنبِ جمالها المعنوي ، فهو لا ينكر عليها ذلك، بل يقر أنَّه من اللذات المحببة إلى الرجل في الدنيا بما يســـتقيم مع جبلته الأصـــلية ، طالما لم يلهيه عن محبة الله ومعرفته، وهو ما يتبدى بوضـــوح في تدقيقه بذكر ملامح الحسـن عند المرأة بتفصـيلات شـديدة الدقة ، كما تبدى كذلك في تفضـيله جمال المرأة البشـرية على حور العين، وهذا ليس عيبًا فإنَّ أفضـل تجل للجمال في الدنيا هي المرأة ، وقد شـهد الحس بحسـنها، بينما جمال حور العين لم يزل غيباً بالنسبة لنا لم تراه العين،إنمّا أخبرت عنه النصوص الدينية من قبيل الترغيب.
- نبـه ابن القيم إلى التلازم الحاصـــل بين الجمـال البـاطن من جهـة (العلم والأخلاق)، والسعادة من جهة أخرى ، فمن تحقق بالجمال الباطن عرف الله بالضـرورة وعرف ما فيه منفعته وصـــلاحه في الدنيا والآخرة ، فآثر لذة القلب الممثلة في العلم بالله في الدنيا الموصلة للذة النظر إلى وجهه الكريم في الدار الآخرة ، وهي عنده أكمل السعادات

## الهوامش :

1-مجد الدين الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مادة الجمال، دار الحديث ،القاهرة،2008م،ص 295

2- محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، مكتبة لبنان،1986م، ص47

43- ابن منظور ، لسان العرب، دار الجيل بيروت، المجلد الأول ،1988م،ص 685

4 —الحديث عن رواية مسلم وأبي داوود والترمذي .انظر جوامع الاصول ج 10 رقم الحديث 8210

43- رواه الإمام أحمد في مسنده

6- رواه البخاري(24802) ومسلم( 1466)

7- ابن القيم، روضة المحبين ونزهة المشتاقين،مكتبة دار التراث،القاهرة، ص 223

8- المصدر السابق،ص 227

9- تاج الدين السبكي، جمع الجوامع، الجزء الأول،مطبعة مصطفي البابي الحلبي، مصر،الطبعة الثانية، 1937،ص 57

10- ابن القيم، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين،ج1،تحقيق محمد حامد الفقي،دار الكتاب العربي،بيروت،لبنان،الطبعة الثانية،1973م، ص230

11- المصدر السابق،ص231

12- محمد عيسي الكساسبة،قضية التحسين والتقبيح عند متأخري المعتزلة مقارنة بالفكر السني،بحث ضمن مجلة جامعة الحسين بن طلال للبحوث،المجلد الرابع،العدد أربعة، 2018م، ص 257

13- ابن القيم، مدارج السالكين،ج1،ص235

14 -ابن القيم،روضة المحبين،ص74

15- ابن القيم، الفوائد،تحقيق تحقيق خالد بن محمد بن عثمان،مطابع دار البيان الحديثة،القاهرة،الطبعة الأولي،2002م،ص198

16 — المصدر السابق،ص 199 ،وأيضاًعمر سليمان الأشقر شرح ابن القيم لأسماء الله الحسني،دار النفائس للنشر والتوزيع،الأردن،الطبعة الأولي، 2008م،ص 181

17- مصطفي عبده،مدخل إلي فلسفة الجمال، مكتبة مدبولي،القاهرة، الطبعة الثانية، 1999م،ص 53

18- أفلوطين:التساعية الثالثة-ضمن تاسوعات أفلوطين-نقله إلي العربية عن الأصل اليوناني فريد جبر،مكتبة لبنان،بيروت،لبنان، الطبعة الأولي،1997م،ص 232

19 — التوحيدي،الهوامل والشوامل،تقديم صرح رسلان،نشره أحمد أمين،السيد أحمد صقر، الهيئة العامة لقصور الثقافة،مسألة 8، ص 43

20- الغزالي:إحياء علوم الدين،كتاب المحبة والشوق والأنس والرضا، دار ابن حزم، بيروت،لبنان، الطبعة الأولي، 2005م، ص 1718

21- ابن عربي،الفتوحات المكية،الجزء6،تحقيق عبد العزيز سلطان المنصوب،الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،الطبعة الأولي،2013م،ص21

22- ابن القيم ،الفوائد،ص203

23- المصدر السابق،ص 197

24- إخوان الصفاء وخلان الوفاء،الرسائل،المجلد الثالث،مكتب الإعلام الإسلامي،طهران،1405هـ،ص284

25- ابن القيم، روضة المحبين،ص216

26- المصدر السابق، ص 219

27 — ابن القيم، حادي الارواح إلي بلاد الأفراح،اعتني به محمد بن إبراهيم الشامي،دار الكوثر،القاهرة،الطبعة الأولي،2010م ،ص229

28- ابن القيم،روضة المحبين،ص 231

29- أخرجه النسائي 3940،وأحمد 13079

30- سوف أخصص للحديث عن الأخلاق مبحثاً مستقلاً بها لأهميتها في سياق الفكرة موضوع البحث،وسيكون ذلك تحت عنوان الجمال والأخلاق.

31- ابن القيم: مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية أهل العلم والإرادة،تحقيق علي بن حسن بن علي بن عبد الحميد، الجزء الأول،دار بن عفان للنشر والتوزيع،المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولي، 1996م،ص 229

32- ابن القيم، مختصر طبقات المكلفين، للشيخ عبد الله بن جار الله،ص 6

33- ابن القيم، مفتاح دار السعادة،ص 239

34- المصدر السابق،ص 458

35- نفسه،ص 477

36-ابن القيم ، الروح،الشركة الجزائرية اللبنانية،الجزائر العاصمة، الطبعة الأولي،2006م،ص 389م.

37- ابن القيم،الرسالة التبوكية،تحقيق أشرف بن عبد المقصود بن عبد الرحيم،مكتبة التوعية الإسلامية لإحياء التراث الإسلامي،الجيزة،الطبعة الأولي،1408هـ،ص18

38- ابن القيم،الوابل الصيب من الكلم الطيب،تحقيق سيد إبراهيم،دار الحديث،القاهرة،1411هـ،ص 58

39- ابن القيم،اجتماع الجيوش الإسلامية،تحقيق عواد عبد الله المعتق،مكتبة الرشد، المملكة العربية السعودية،الطبعة الثانية،995م،ص55

40-أخرجه مسلم في البر حديث 33،وابن ماجه في الزهد باب 9،وأحمد في المسند(539/285/2)

41- ابن القيم،روضة المحبين ص 216

42- المصدر السابق،ص215

43-نفسه

44- نفسه،ص69

45- نفسه،ص 70

46- ابن القيم،شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل،،المجلد الأول،تحقيق أحمد بن صالح بن علي الصمعاني،دار الصميعي للنشر والتوزيع،المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية،2013هـ،،ص1244

47- ابن القيم، تعظيم الله ومحبته في كلام ابن القيم،جمع وترتيب المكتب التعاوني للدعوة وتوعية الجاليات بالنسيم،الرياض،1440هـ،ص 103

48- ابن القيم،الفوائد،ص202

49- ابن عربي،الفتوحات المكية ،ج6،ص21

50- أحمد الجزار،الفناء والحب الإلهي عند ابن عربي، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة،الطبعة الأولي،1990م،ص 69

51- ابن القيم:الفوائد،ص57

52 ابن القيم،روضة المحبين،ص 158

53- المصدر السابق،ص 160

54 — نفسه،ص 166

55- نفسه ،ص 160

56- ابن القيم،الفوائد،ص58

57- المصدر السابق،62

58 —ابن القيم،روضة المحبين ونزهة المشتاقين،ص77

59- المصدر السابق،الصفحة نفسها

60- نفسه

61- نفسه،ص78

62- ابن القيم،روضة المحبين ونزهة المشتاقين،ص78

63- ابن القيم : زاد المعاد في هدي خير العباد،ضبط نصه شعيب الأرنؤوط،وعبد القادر الأرنؤوط،مؤسسة الرسالة للنشر والتوزيع،بيروت،لبنان،الطبعة الأولي،2009م ،ص 691

64- أخرجه البخاري عن عائشة رضي الله عنها،ومسلم واحمد وأبوداود عن أبي هريرة،والطبراني عن ابن مسعود.

65 —إخوان الصفا،الرسائل،ج3،276

66- ابن حزم، طوق الحمامة في الألفة والألاف،حققه وقدم له محمد إبراهيم سليم،مكتبة ابن سينا للنشر والتوزيع،القاهرة،الطبعة الأولي،2010م،ص21

67- الغزالي ،إحياء علوم الدين، كتاب المحبة والشوق والأنس والرضا،ط1،دار ابن حزم،بيروت،لبنان، 2005،ص 1669

68- أفلاطون،محاورة فايدروس،ترجمة وتقديم أميرة حلمي مطر، دار غريب للنشر والتوزيع،القاهرة،1999م،ص68

69- ابن حزم،طوق الحمامة،ص22

70- الغزالي،احياء علوم الدين،كتاب المحبة والشوق والأنس والرضا،ص 1661

71- جلال الدين الرومي،فيه ما فيه، ترجمه عن الفارسية،عيسي علي العاكوب، دار الفكر المعاصر،بيروت،لبنان، 2001م،ص 1182

72- ابن القيم، روضة المحبين،ص97

73- المصدر السابق،الصفحة نفسه

74 — ابن القيم،الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي"الداء والدواء"تحقيق طه عبد الرؤوف سعد،دار احياء الكتب العربية،القاهرة،،ص225

75- المصدر السابق،ص221

76- نفسه،ص212

77- نفسه،ص264

78- ابن القيم، روضة المحبين ونزهة المشتاقين ،ص96

79- ابن القيم، الفروسية المحمدية،تحقيق زائد بن أحمد النشيري،دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع،ص 465

80- أخرجه أبو بكر بن لال في مكارم الأخلاق من حديث معاذ"يا معاذ حسن خلقك للناس"منقطع ورجاله ثقات

81- ابن سينا،رسالة العهد ضمن مجموعة رسائل،مطبعة الجوائب،قسطنطينة،الطبعة الأولي،1298هـ،ص101

82- ابن القيم،مدارج السالكين،ج2،ص 307

83- المصدر السابق،ص 308ك

84- ابن القيم ، الحب في الميزان أو مهذب روضة المحبين ونزهة المشتاقين،هذبه وخرج أحاديثه وعلق عليه محمد الحمود النجدي،مكتبة الإمام الذهبي،الكويت،الطبعة الأولي،2006م، ص 194

85- ابن القيم، المنار المنيف في الصحيح والضعيف،تحقيق يحيي بن عبد الله الثمالي،دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع،ص12

86- ابن القيم،الوابل الصيب، ص 15

87- ابن القيم، المنار المنيف، ص 22

88- ابن القيم،عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين،تحقيق إسماعيل بن غازي مرحبا،دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، ص 30

89- ابن القيم، زاد المهاجر،ص 8

90- المصدر السابق،الصفحة نفسها

91- ابن القيم،الأمثال في القرآن الكريم،تحقيق سعيد محمد نمر الخطيب، دار المعرفة للطباعة والنشر،بيروت،لبنان، 1981م،ص 233

92- ابن القيم،عدة الصابرين،ص 86

93- رواه البخاري 2/96

94- ابن القيم، زاد المهاجر،ص 30

95- ابن القيم،إغاثة اللهفان من مصـايد الشـيطان،تحقيق محمد حامد الفقي،دار المعرفة،بيروت،لبنان، الطبعة الثانية، 1975م، ص26

96- الرازي، التفسير الكبير،المجلد الرابع عشر،دار الغد العربي،القاهرة، ص160

97- التوحيدي،الهوامل والشوامل،تقديم صرح رسلان،نشره أحمد أمين،السيد أحمد صقر، الهيئة العامة لقصور الثقافة،مسألة 8، ص160

98- ابن حزم ، الأخلاق والسيرأو رسالة في مداواة النفوس وتهذيب الأخلاق والزهد في الرذائل، تحقيق إيفا رياض،دار ابن حزم، 1420هـ،ص 96

99- ابن القيم، زاد المهاجر، ص 30

100- ابن القيم ،مفتاح دار السعادة، ص 465

101- أبي نصر السراج الطوسي،اللمع،حققه وقدم له وخرج أحاديثه دكتور عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور، دار الكتب الحديثة بمصر،ومكتبة المثني ببغداد،1960م،ص 57

102- ابن تيمية، التحفة العراقية في الأعمال القلبية، حققه وعلق عليه،دكتور يحي بن عبد الله الهنيدي،مكتبة الرشد،الرياض،الطبعة الأولي،2000م،ص 389

103 — ابن القيم،مفتاح دار السعادة،ص 113

104- ابن القيم، رسالة ابن القيم لأحد اخوانه،، ضمن مجموع الرسائل،دار عالم الفوائد،بيروت ،لبنان،ص 36

105- المصدر السابق،الصفحة نفسه

106- نفسه،ص 29

107- نفسه، ص 30

108- نفسه،ص 32

## قائمة المصادر والمراجع:-

### - أولاً المصادر العربية:-

1-ابن قيم الجوزية، اجتماع الجيوش الإســـلامية،تحقيق عواد عبد الله المعتق،مكتبة الرشد، المملكة العربية السعودية،الطبعة الثانية،995م

2-_____ إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان،تحقيق محمد حامد الفقي،دار المعرفة،بيروت،لبنان، الطبعة الثانية، 1975م

43- _____الأمثال في القرآن الكريم،تحقيق سعيد محمد نمر الخطيب، دار المعرفة للطباعة والنشر ،بيروت،لبنان، 1981م

43- _____الجواب الكافي لمن ســـأل عن الدواء الشـــافي"الداء والدواء"تحقيق طه عبد الرؤوف سعد،دار احياء الكتب العربية،القاهرة،بدون تاريخ.

5-_____ الحب في الميزان أو مهذب روضة المحبين ونزهة المشتاقين،هذبه وخرج أحاديثه وعلق عليه محمد الحمود النجدي،مكتبة الإمام الذهبي،الكويت،الطبعة الأولي،2006م

6- _____الرســـالة التبوكية،تحقيق أشـــرف بن عبد المقصـــود بن عبد الرحيم،مكتبة التوعية الإسلامية لإحياء التراث الإسلامي،الجيزة،الطبعة الأولي،1408ه

7- _____ الروح،الشـــركة الجزائرية اللبنانية،الجزائر العاصـــمة، الطبعة الأولي،2006م

8- _____المنار المنيف في الصحيح والضعيف،تحقيق يحيي بن عبد الله الثمالي،دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع،بدون تاريخ.

9-_____ الفروسية المحمدية،تحقيق زائد بن أحمد النشيري،دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع،بدون تاريخ.

10- _____ الفوائد،تحقيق تحقيق خالد بن محمد بن عثمان،مطابع دار البيان الحديثة،القاهرة،الطبعة الأولي،2002م

11-_____ الوابل الصـــيب من الكلم الطيب،تحقيق ســـيد إبراهيم،دار الحديث،القاهرة،1411هـ

12- _____تعظيم الله ومحبتـه في كلام ابن القيم،جمع وترتيـب المكتـب التعاوني للدعوة وتوعية الجاليات بالنسيم،الرياض،1440هـ

13-_____تعظيم الله ومحبته في كلام ابن القيم،جمع وترتيب المكتب التعاوني للدعوة وتوعية الجاليات بالنسيم،الرياض،1440هـ

14-_____ حـادي الارواح إلي بلاد الأفراح،اعتني بـه محمـد بن إبراهيم الشامي،دار الكوثر،القاهرة،الطبعة الأولي،2010م

15-_____ رسـالة ابن القيم لأحد اخوانه،، ضـمن مجموع الرسـائل،دار عالم الفوائد،بيروت ،لبنان،بدون تاريخ.

16- _____روضـــة المحبين ونزهة المشـــتاقين،مكتبة دار التراث،القاهرة،بدون تاريخ.

17-_____ زاد المعاد في هدي خير العباد،ضـــبط نصـــه شـــعيب الأرنؤوط،وعبد القادر الأرنؤوط،مؤســـســـة الرســـالة للنشـــر والتوزيع،بيروت،لبنان،الطبعة الأولي،2009م

18-_____ شـــفاء العليل في مســـائل القضـــاء والقدر والحكمة والتعليل،،المجلد الأول،تحقيق أحمد بن صـــالح بن علي الصـــمعاني،دار الصـــميعي للنشـــر والتوزيع،المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية،2013هـ

19-_____ عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين،تحقيق إسماعيل بن غازي مرحبا،دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع،بدون تاريخ.

20- _____مختصـر طبقات المكلفين، للشـيخ عبد الله بن جار الله،بدون تاريخ.

21- _____مـدارج الســـالكين بين منـازل إيـاك نعبـد وإيـاك نستعين،ج1،تحقيق محمد حامد الفقي،دار الكتاب العربي،بيروت،لبنان،الطبعة الثانية،1973م

22- _____مفتاح دار السـعادة ومنشـور ولاية أهل العلم والإرادة،تحقيق علي بن حســن بن علي بن عبد الحميد، الجزء الأول،دار بن عفان للنشـــر والتوزيع،المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولي، 1996م.

## - ثانياَ المراجع العربية :-

23- ابن تيمية، التحفة العراقية في الأعمال القلبية، حققه وعلق عليه،دكتور يحي بن عبد الله الهنيدي،مكتبة الرشد،الرياض،الطبعة الأولي،2000م

24-ان حزم، الأخلاق والسيرأو رسالة في مداواة النفوس وتهذيب الأخلاق والزهد في الرذائل، تحقيق إيفا رياض،دار ابن حزم، 1420هـ

25- ابن حزم، طوق الحمامة في الألفة والألاف،حققه وقدم له محمد إبراهيم سليم،مكتبة ابن سينا للنشر والتوزيع،القاهرة،الطبعة الأولي،2010م

26- ابن سينا، رسالة العهد ضمن مجموعة رسائل،مطبعة الجوائب،قسطنطينة،الطبعة الأولي،1298هـ

27-ابن عربي، الفتوحات المكية،الجزء6،تحقيق عبد العزيز سلطان المنصوب،الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،الطبعة الأولي،2013م

28- أبي نصر السراج الطوسي،اللمع،حققه وقدم له وخرج أحاديثه دكتور عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور، دار الكتب الحديثة بمصر ،ومكتبة المثني ببغداد،1960م

29- أحمد الجزار، الفناء والحب الإلهي عند ابن عربي، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة،الطبعة الأولي،1990م

30- إخوان الصفاء وخلان الوفاء،الرسائل،المجلد الثالث،مكتب الإعلام الإسلامي،طهران،1405هـ

31—أفلاطون،محاورة فايدروس،ترجمة وتقديم أميرة حلمي مطر، دار غريب للنشر والتوزيع،القاهرة،1999م

32- أفلوطين:التساعية الثالثة-ضمن تاسوعات أفلوطين-نقله إلي العربية عن الأصل اليوناني فريد جبر،مكتبة لبنان،بيروت،لبنان، الطبعة الأولي،1997م - -

33- التوحيدي،الهوامل والشوامل،تقديم صرح رسلان،نشره أحمد أمين،السيد أحمد صقر، الهيئة العامة لقصور الثقافة،القاهرة،بدون تارخ.

34- الرازي، التفسير الكبير،المجلد الرابع عشر،دار الغد العربي،القاهرة،بدون تاريخ.

35—الغزالي ،إحياء علوم الدين، كتاب المحبة والشوق والأنس والرضا،ط1،دار ابن حزم،بيروت،لبنان، 2005م،

36- تاج الدين السبكي، جمع الجوامع، الجزء الأول،مطبعة مصطفي البابي الحلبي، مصر،الطبعة الثانية، 1937م

37- جلال الدين الرومي،فيه ما فيه، ترجمه عن الفارسية،عيسي علي العاكوب، دار الفكر المعاصر،بيروت،لبنان، 2001م

38- عمر سليمان الأشقر شرح ابن القيم لأسماء الله الحسني،دار النفائس للنشر والتوزيع،الأردن،الطبعة الأولي، 2008م

39- محمد عيسي الكساسبة،قضية التحسين والتقبيح عند متأخري المعتزلة مقارنة بالفكر السني،بحث ضمن مجلة جامعة الحسين بن طلال للبحوث،المجلد الرابع،العدد أربعة، 2018م

40- مصطفي عبده،مدخل إلي فلسفة الجمال، مكتبة مدبولي،القاهرة، الطبعة الثانية، 1999م

## ثالثاَ المعاجم والقواميس العربية:-

41- ابن منظور،لسان العرب،مادة جمال، دار الجيل بيروت، المجلد الأول ،1988م

42- مجد الدين الفيروزآبادي،القاموس المحيط،مادة الجمال، دار الحديث،القاهرة،2008م

43- محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي،مختار الصحاح،مادة جمال، مكتبة لبنان،1986م

## Abstract:

**Since beauty has been the focus of researchers attention throughout the ages, this study came to the goal of analyzing the concept of beauty in one of the men of Islamic thought, which is Ibn A I- Qa'im .we conclude from the study the importance of beauty at Ibn Al-Qa'im as an objective fact that has an independent existence away from the self-aware of it, and this is reflected on me his perception of goodness, and ugliness in human action as the effectiveness of beauty appeared to him as a fundamental pillar in the process of the divine creation of the universe, and linking him with the knowledge of God that befits him, and is achieved only for the characteristics of creation ,and thus achieves monotheism in the most beautiful imag. The study revealed the close link between beauty ,knowledge and love at different levels ,and his emphasis on the inherent between inner beauty and morality in the world on the one hand and happiness in the afterlife on the other hand. In this study I relied on a comparative critical analytical approach.**


**Descriptors: Islamic philosophy- beauty -inner beauty- apparent beauty- goodness- ugliness- human action- knowledge- love, morality- virtue- pleasure -happiness.**

# The Beauty at Ibn Qa’im Al-Jawziya

**By**

**Dr. Nagat Saad Ahmed**

**Lecture of philosophy Department**

**Faculty of Arts =Minya univercity**

International Standard Serial Number
ISSN 2314 – 8160

Beni Suef University Center for Printing and Publishing

# Annual of the Faculty of Arts

**A Refereed Academic Annual**

**Published by the Faculty of Arts . Beni -Suef University**

special Issue(1) February 2023